

جامعة الأزهر
كلية البنات الأزهرية
بطيبة

المجلة

حقيقة المسيح (عليه السلام) عند معاصريه بحسب الأناجيل

The Reality of Jesus Christ among his contemporaries: a look at the Gospels

إعداد
د/ محمد عبد الحكيم عبد المجيد حفني
الباحث بجامعة الأزهر الشريف

Abstract

This study aims to portray the real character of Jesus the Christ not from Islamic nor from deviated Christian perspectives, but from that of those Christians who lived during the time of the Christ whether they were his disciples or his foes. In order to make utmost worth of this study, I only depended in my citation of the mentioned stories and situations from the four widely acknowledged versions of the Bible, not those theses or books that might greatly express its own authors' points of view.

The study summed how the Christ's copartners, close friends and contemporaries used to see the character of the Messiah according to what is mentioned in the Gospel; such as that Zakarya ibn Yahiya (who was known as then as John the Baptist as well as the people of Nazara and Jerusalem, his disciples, kinships and relatives. Moreover, the study displays the social conditions of all those who were in direct contact with the Christ.

By the same token, this study also points out how the character of the Christ was perceived by his opponents of disbelievers whether they are Herodians, Pharisees, writers of scripture, sadducéens or Jewish rabbis.

The study concludes with the unarguable fact that stipulated in all versions of the bible that the belief in christ's deity or being the son of god is entirely false. It is the fact that proved by all the Christ's coevals who were the most acquainted with his humanity, his behavior and his nature and that he did not exceed the limit of being human prophet who complete the message of Moses his elder brother in prophecy.

المقدمة:

الحمد لله الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى سيدنا وحبيبنا وقدوتنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنّ المُطّلع على أناجيل النصارى الأربعة والمتتبع لها يمكنه أن يلحظ أنّها لا تعدو أن تكون مجرد سردٍ تاريخيّ وتتبعٍ قصصيّ لسيرة المسيح– عليه السلام– مِن وجهة نظرٍ نصرانيةٍ خالصة، رواها مجموعة مِمن ادّعى النّصارى معرفتهم بالمسيح وقربهم منه، وبغض النظر عمّا يكتنف هذه الأناجيل مِن عوارٍ في السند والمتن، فإنّها قد حوت الكثير من صفات المسيح وأحواله على لسانه هو وعلى لسان شخصيات الأناجيل المختلفة سواء أكانت هذه الشخصيات مِن المقربين للمسيح أو مِن عامة النّاس على عهده أو حتى مِن أعدائه.

والمتتبع لكتابات النّصارى أيضاً على مدار تاريخهم يجدها تتجاهل أحيانًا شهادات أهم الشخصيات في الأناجيل، وتقوم أحيانًا أخرى بتأويل الشهادات التي تحتمل التأويل على حسب الأهواء والرغبات، على الرغم مِن أنّ كثيرًا مِن شهادات مَن عاصروا المسيح كانت واضحة وقاطعة لا تحتاج إلا إلى الوقوف معها وإبرازها وإبدائها للقارئ، ومن ثمّ كان هذا البحث لإبراز هذه الشهادات وإبراز حقيقة أصحابها ومدى موافقتهم للمسيح– عليه السلام– في فكره ودعوته مِن مخالفتهم له.

أسباب اختيار الموضوع.

1- إنّ شهادات معاصري المسيح على الرغم مِن أهميتها وخطورتها لم يقم أحدٌ مِن الباحثين – فيما انتهى إليه البحث- بإفرادها ببحثٍ مُستقلٍ يتبعها ويستخلص طبيعة المسيح في عيون أهل زمانه.

2- إنّ النصارى اعتمدوا بشكلٍ تامٍ على شهاداتٍ وافقت أهواءهم واتسقت مع مبتغاهم في تأليه المسيح وإقرار التثليث، هذه الشهادات لم تكن ممن عاصروا المسيح ولا ممن اطّلعوا على سيرته وعاينوا أفعاله وأقواله.

3- إنّ أعداء المسيح كانوا مِن أهم الشخصيات التي عاصرته، وقد كان لهؤلاء الأعداء رؤيةٌ خاصّة للمسيح، تناقلتها الأناجيل وتجاهلها النّصارى على مدار تاريخهم، ويأتي هذا البحث ليقف مع هذه الرؤى وتلك الشهادات علها تحمل في طياتها ما عمد النصارى إلى طمسه وإخفائه.

منهج البحث:

المنهج الرئيس في هذا البحث هو المنهج التحليليّ، حيث ينقل الباحث شهادات مَن عاصروا المسيح-عليه السلام- في الأناجيل ويعزوها إلى مواضعها ثمّ يُحلل النّص تحليلاً دقيقاً مُبتدئًا بآراء علماء النصارى في هذه الشهادات مُحَلّلًا وناقدًا لهذه الآراء، وقد يلجأ الباحث إلى مناهج أخرى غير المنهج الأصليّ - الذي هو المنهج التحليليّ- كالمنهج النقديّ والتاريخي وغيرهما كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمةٍ وثلاثة مباحث وخاتمةٍ على النحو التالي:

أولاً: المقدمة. وتشتمل على:

1- أسباب اختيار الموضوع.

2- منهج البحث.

3- خطة البحث.

ثانياً: المباحث الثلاثة. وهي:

المبحث الأول: حقيقة المسيح عند المقربين إليه بحسب الأناجيل.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حقيقة المسيح عند يوحنا المعمدان.

المطلب الثاني: حقيقة المسيح عند تلاميذه.

المطلب الثالث: حقيقة المسيح عند أهله وأقاربه.

المبحث الثاني: حقيقة المسيح عند عامّة أهل زمانه بحسب الأناجيل.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحالة الاجتماعية على عهد المسيح.

المطلب الثاني: حقيقة المسيح عند أهل النّاصرة.

المطلب الثالث: حقيقة المسيح عند أهل أورشليم.

المبحث الثالث: حقيقة المسيح عند المخالفين له بحسب الأناجيل.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حقيقة المسيح عند الهيرودُسيين والفريسيين والكتبة والصدوقيين.

المطلب الثاني: حقيقة المسيح عند كهنة اليهود.

ثالثاً: الخاتمة. وتشتمل على:

أ- نتائج البحث وأهم التوصيات.

ب- أهم المراجع والمصادر.

ج- الفهرس.

الفصل الأول

المسيح في عيون المقربين إليه بحسب الأناجيل.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المسيح كما كان يراه يوحنا المعمدان.

المبحث الثاني: المسيح في عيون تلاميذه.

المبحث الثالث: المسيح في عيون أهله وأقاربه.

مدخل

توحدت كلمة النصارى على مدار تاريخهم الطويل واختلاف مذاهبهم ومشاربهم وتوجهاتهم على قدسية الأناجيل الأربعة: متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا، ويُمكن للباحث في النصرانية أن يلحظ أن الأناجيل الثلاثة الأولى لم تُألّه المسيح ولم تُعظّمه ولم تنزله منزلة أعلى من منزلة البشرية والنبوة والرسالة، ولم تنقل على لسانه ما يُفهَم منه خلاف ذلك، أما إنجيل يوحنا فهو ذو صبغةٍ خاصّة، حيث اعترف علماء النصارى أن هذا الإنجيل وُضع بناءً على رغبة الكنيسة وبعد اعتناقها فكرة ألوهية المسيح والتثليث والاعتراف والصلب وغيرها، وأنه إنما وُضع ليؤكد على هذه الأفكار والمُعتقدات[1].

وإذا نظر الباحث نظرةً متفحصة إلى كلام المعاصرين للمسيح–عليه السلام– عنه من خلال الأناجيل يجد هذه الشخصيات وقد نظرت إلى المسيح–عليه السلام– نظرةً مختلفة جذريًا عن تلك التي تخيلتها النّصارى وتأولتها مِن نصوص الأناجيل فاعتنقتها وآمنت بها، بينما كان مِن الأولى النظر في كلام هؤلاء

---

(١) وقد فصّل الإمام رحمت الله الهنديّ في كتابه "إظهار الحق" هذا الأمر وبرهن عليه من كلام علماء النصارى فيما يربو عن الثلاث صفحات، راجع: "إظهار الحق"، لـ"رحمت الله بن خليل الرحمن الهنديّ"، تحقيق" محمد أحمد عبد القادر خليل ملكاويّ"، ج1/ ص85 وما بعدها، الطبعة الأولى، الناشر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلاميّة، المملكة العربية السعوديّة، 1415هـ، وأثبته أيضاً الإمام "محمد أبو زهرة" في كتابه "محاضرات في النصرانية" راجع "محاضرات في النصرانية"، لـ"محمد أبو زهرة"، من ص 46 إلى ص 50، الطبعة الثالثة، الناشر: دار الفكر العربي، مدينة نصر– القاهرة 1381هـ – 1961م.

المُعاصرين وتدبرها والاعتبار بها عند تحديد شخصية المسيح، فهؤلاء المعاصرون أكثر دراية مِن غيرهم بأحوال المسيح وسائر مراحل حياته، لا سيما وأن منهم مُعمّده يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان) وتلامذته وجيرانه وأهله وهم الذين لا تخفى عليهم كبيرة ولا صغيرة في حياة المسيح- عليه السلام-، ويأتي هذا الفصل ليكون بداية استكشاف الباحث للمسيح مِن خلال أقرب أهل زمانه إليه، فإذا ما تيسر ذلك انتقل البحث ليستكشف حقيقة المسيح في عيون بقية المعاصرين والنظر في مدى تطابقها مع رؤية الأقربين مِن عدمه.

المبحث الأول

المسيح كما كان يراه يوحنا المعمدان.

إنّ أول مَن يمكنه أن يستكشف حقيقة التلميذ هو أستاذه، فهو مَن يلمح نبوغه وتميزه وتفردّه عن أقرانه أو العكس؛ لذا كان مِن الأجدر أن يبدأ البحث بتناول حقيقة المسيح وطبيعته كما كان يراها مُعمّده يوحنا المعمدان.

ويحسن بنا أن نتعرف على يوحنا المعمدان أولًا، إنّه يحيى بن زكريا النبي ابن النبي، وبما أنّ المصدر الرئيسيّ في البحث هو الأناجيل الأربعة وما ورد فيها مِن نصوصٍ على ألسنة مُعاصري المسيح؛ لذا سينقل البحث حقيقة هؤلاء المعاصرين مِن مصادر نصرانيّةٍ خالصة ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، ومِن هذا المُنطَلَق نقول: إنّ يوحنا المعمدان كان عند النّصارى رجلًا صالحًا بارًّا متواضعًا زاهدًا عابدًا شديد التأثير في المدعوين، قال عنه صاحب القاموس أنّه كان من سلالة كهنوتية:(فأبوه زكريا من فرقة أبيا وأمه أليصابات من بنات هارون وكان سابق للمسيح وإيليا العهد الجديد وكان أبواه متقدمَين في السنّ عندما بُشّر به من الملاك

(لو1: 18)[1]... وكانت ولادته قبل ولادة المسيح بستة أشهر وقد تنبأ عنه إشعياء (إش 40: 3)[2] وملاخي (4: 5)[3] والملاك جبرائيل

(١) يقول النّص المُشار إليه:(فقال زكريا للملاك:" كيف أعلمُ هذا، لأني أنا شيخٌ وامرأتي مُتقدِمةٌ في أيامها).

(٢) يقول النّص المُشار إليه:(صوتُ صارخٍ في البرية:" أعِدُّوا طريقَ الربّ. قوّموا في القفر سبيلًا لإلهنا).

(٣) يقول النّص المُشار إليه:(هأنذا أُرسِلُ إليكم إيليّا النبي قبل مجئ يوم الرب، اليوم العظيم والمَخُوفِ).

(لو1: 11- 20)[1] وقد نشأ على الوحدة وحُب الانفراد وعندما بلغ مِن العُمر30سنة ابتدأ أن يُبشّر في برية اليهودية ويدعو الناس إلى التوبة والاصلاح... وظنّ كثيرون أنّه المسيح غير أنه نفى عنهم هذا الظنّ وبشرهم بالمسيح (لو3: 15- 17 ويو1: 19- 28)[2] وكانت حياته منفردة وتقشفية وكان يأكل جرادًا وعسلًا بريًّا ويلبس ثوبًا من شعر الإبل ويتنطق بمنطقة من جلد... وكان يوحنا إنسانًا مُتواضعًا جدًا... أمّا كرازة يوحنا فكانت مؤثرة جدًا في حاسيات المستمعين

---

(١) يقول النّص المُشار إليه:(فظهر له ملاك الرب واقفًا عن يمين مذبح البخور. فلمّا رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف. فقال له الملاكُ:" لا تخف يا زكريا، لأنّ طِلبتَكَ قد سُمِعَت، وامرأتُكَ أليصاباتُ ستَلِدُ لك ابنًا وتُسمّيه يوحنّا. ويكونُ لك فرحٌ وابتهاجٌ، وكثيرونَ سيفرحونَ بوِلادتِه، لأنّه يكونُ عظيمًا أمامَ الربّ، وخمرًا ومُسكِرًا لا يشربُ، ومِن بطن أمّه يمتلئُ مِن الروحِ القُدُسِ. ويرُدُ كثيرينَ مِن بني إسرائيلَ إلى الربّ إلههم. ويتقدّمُ أمامَهُ برُوحِ إيليّا وقوتِهِ، ليرُدّ قلوبَ الآباءِ إلى الأبناءِ، والعُصاةَ إلى فِكرِ الأبرارِ، لكي يُهيئَ للرّبِ شعبًا مُستعِدًّا". فقالَ زكريا للملاكِ:" كيفَ أعلمُ هذا، لأنّي أنا شيخٌ وامرأتي مُتقدّمةٌ في أيّامها؟". فأجابَ الملاكُ وقالَ لهُ:" أنا جبرائيلُ الواقِفُ قُدّامَ اللهِ، وأُرسِلتُ لأكلّمكَ وأُبشّرَكَ بهذا. وها أنت تكونُ صامتًا ولا تقدِرُ أن تتكلّمَ، إلى اليومِ الذي يكونُ فيه هذا، لأنّك لم تُصدّق كلامِي الذي سيتِمُ في وقتِهِ").

(٢) جاء في إنجيل لوقا:(وإذ كان الشعب ينتظر، والجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح، أجاب يوحنا الجميع قائلا:" أنا أعمدكم بماءٍ، ولكن يأتي مَن هو أقوى مني، الذي لستُ أهلًا أن أحُل سُيُور حِذائه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. الذي رفشه في يده، وسيُنقّي بيدره، ويجمع القمح إلى مخزنه، وأما التبن فيحرقه بنار لا تُطفَأ". وبأشياء أُخر كثيرة كان يعظ الشعب ويبشرهم)(لو 3: 15- 18)، وقريب منه نصّ إنجيل يوحنا المُشار إليه في يو 1: 19- 28.

ومِمن سمع كرازته وسُرّ بها هيرودس رئيس الربع على الجليل وفعل كثيرًا بما تأثر منه إلا أنه لم يترك خطبة الزنا مع هيروديا ولمّا وبّخه يوحنا على هذه الفظاعة أوثقه وألقاه في السجن)[1]، وقال عنه يوسابيوس في تاريخه:(وقد كانَ رجُلًا صالِحًا، نصحَ لليهودِ أن يأتُوا وينالُوا المعمودية، ويتدربوا على الفضيلةِ، ويمارسوا البر والعدل نحو بعضهم بعضًا ونحو الله، لأنّ المعمودية تبدو مقبولة في نظر الله إن استخدموها، لا لمغفرة خطايا مُعيّنة، بل لتطهير الجسد كما تطهرت النفس فعلًا بالبر. وعندما التف حوله آخرون– إذ وجدوا سرورًا عظيمًا في الإصغاء لكلماته– خشي هيرودس أن يؤدي نفوذه العظيم إلى فتنة، لأنّهم أظهروا استعدادهم ليفعلوا كل ما ينصح به. ولذا وجد إنه من الأفضل أن يسبق فيقتله قبل أن يجد أي شيء بتأثير يوحنا)[2]، وقد استسقى يوسابيوس القيصريّ هذه المعلومات عن يوحنا المعمدان من الأناجيل نفسها، فقد نقلت الأناجيل مِن صفاته أنّه كان أفضل مِن نبي، جاء في إنجيل متى على لسان المسيح:(لكن ماذا خرجتُم لتنظروا؟ أنبيًّا؟ نعم، أقولُ لكم، وأفضَلَ مِن نبيّ. فإنّ هذا هو الذي كُتِبَ عنهُ: ها أنا أُرسِلُ أمامَ وجهِكَ ملاكي الذي يُهيئُ طريقك قُدّامَكَ. الحقّ أقولُ لكم: لم يقُم بين المولودِينَ مِن النّساءِ أعظمَ مِن يوحنّا المعمدانِ، ولكن الأصغرَ في ملكوتِ السماواتِ أعظمُ

(١) جورج بوست، قاموس الكتاب المقدس، ج2/ ص545 باختصار، طبعة المطبعة الأمريكانية– بيروت 1894م.

(٢) يوسابيوس القيصريّ، تاريخ الكنيسة، ترجمة القمص: مرقس داود، الطبعة الثالثة، ص42، الناشر: مكتبة المحبة، شبرا– القاهرة 1998م.

منه)[1]، كما ذُكِرت قصة مقتله على يد هيرودس في الأناجيل أيضًا[2]، وذكرت الأناجيل كذلك جانبًا مِن مواعظه ومدى تأثيره في الآخرين[3]، ونكتفي بهذا القدر مِن الحديث عن شخصية يوحنا المعمدان، وحسبنا أن تكونَ شخصيته قد ظهرت وعُرِفَت، وإذا كان هذا هو يوحنا المعمدان عند النصارى بلا خلافٍ حوله بينهم ولا شك في حقيقته وتقواه وزهده وتعبده لبارئه فلا مناص مِن قبول كلامه في شأن المسيح ورؤيته له والتي يلتزم البحث بنقلها مِن الأناجيل فحسب.

أمّا عن رؤية يوحنا المعمدان للمسيح فإنها كانت واضحة لا تحتاج إلى بيانٍ أو تفسير، حيث كان يوحنا ينظر إلى المسيح على أنه مجرد رسول من عند الله شأنه شأن السابقين عليه من أنبياء بني إسرائيل، فعندما سمع يوحنا بما يأتي به المسيح من معجزاتٍ أرسل بعض تلامذته يسألونه عن طبيعة دعوته وهل هو المسيح الذي ينتظره اليهود أم ينتظرون آخر؟ وهذا ما نصّ عليه إنجيل متى ووافقه فيه لوقا في إنجيله[4]، أما إنجيل يوحنا فقد فصّل موقف يوحنا المعمدان من المسيح وشرح رؤيته له واعتقاده فيه بصورةٍ أكثر وضوحاً حيث يقول الإنجيل:(وحدثت مباحثةٌ من تلاميذ يوحنا مع يهود من جهة التطهير. فجاءوا إلى يوحنا وقالوا له:"يا مُعلّم، هو ذا الذي كان معك في عبر الأُردن، الذي أنت قد شهدتَ لهُ، هُو يُعمّد، والجميعُ يأتونَ إليه". أجاب يوحنا وقال:"لا يقدر إنسانٌ أن يأخذ

(١) مت 11: 9– 11، و لو7: 24– 28.
(٢) مت 14: 1– 12، و مر 6: 14– 29.
(٣) مت 3: 7– 12، و لو 1: 66– 80، و لو 3: 7– 18.
(٤) مت 11: 2– 6، و لو 7: 18– 23.

شيئاً إن لم يكن قد أُعطي من السماء. أنتم أنفسكم تشهدون لي أني قلتُ: لستُ أنا المسيح بل إني مُرسَل أمامه. مَن له العروس فهو العريس. وأما صديق العريس الذي يقف ويسمعُه فيفرح فرحاً مِن أجل صوتِ العريس. إذاً فرحي هذا قد كَمَل. ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقُص. الذي يأتي مِن فوق هو فوقَ الجميع، والذي مِن الأرض هو أرضيّ، ومِن الأرض يتكلمُ. الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع، وما رآه و سمعه به يشهد، وشهادتُهُ ليس أحدٌ يقبلها.ومَن قَبِل شهادَتَه فقد ختمَ أنّ الله صادقٌ،لأنّ الذي أرسله الله يتكلمُ بكلام الله)[1].

هذا هو المسيح مِن وجهة نظر يوحنا المعمدان، فهو "قد أُعطي من السماء"، وأنه "يأتي مِن فوق" و"مِن السماء"، وهو شاهد بما سمع ورأى، وأن "شهادته ليس أحدٌ يقبلها"، وأنه يتكلم بكلام الله الذي أرسله، وأن قبول شهادته يعني الإيمان بالله وصِدق رسالته، فهذا هو المسيح الذي تلقى رسالته من السماء وتكلم بكلام الله وشهد بما سمع ورأى ولم يقبل أحد بشهادة الوحدانية التي جاء بها بحسب كلام يوحنا، وإلا فإن كثيرين قد قبلوا الناسوت والتثليث والصلب والفداء وغيرها، ولم يقبل أحدٌ شهادة التوحيد التي جاء بها سيدنا عيسى– عليه السلام–.

هذا ما كان يؤمن به يوحنّا، وهذا ما دفعه إلى أن يُعمّد المسيح، جاء في إنجيل متى:(حينئذٍ جاء يسوعِ من الجليل إلى الأردن إلى يوحنّا ليعتمد منه. ولكن يوحنّا منعه قائلًا:" أنا محتاج أن أعتمد منك، وأنت تأتي إليّ!". فأجابَ يسوعُ

(١) يو 3: 25– 34.

وقالَ لهُ:" اسمَح الآن، لأنّه هكذا يليقُ بنا أن نُكمّلَ كُلّ بِر". حينئذٍ سمَحَ لهُ.)[1]، وقال مرقس:(وفي تلكَ الأيّامِ جاءَ يسوعُ مِن ناصرةِ الجلِيلِ واعتمَدَ مِن يوحنّا في الأُردُنِ)[2]، ولو كان عند يوحنا مسحة من شك في أنّ المسيح به شيءٌ مِن الألوهية أو أنّه صاحب أقنوم وُجِدَ في الأزل وقامت عليه السماوات والأرض لكان عَلِمَ هذا ولأخبر به المدعوين لا سيّما وأنّه كان صاحب تأثير قويّ في كل مِن يسمعه بحسب شهادة يوسابيوس القيصريّ وسائر مؤرخي النصارى، ولمّا كان هذا مُستحيلًا عمّده يوحنا مُقتنعًا تمام الاقتناع أنّه لا يعدو أن يكونَ نبيّا مِن أنبياء بني إسرائيل وخاتمهم.

وختامًا نقول: إنّ النّصارى يتمسكون بقول يوحنا المعمدان الذي جاء على لسانه في إنجيل متى:(فإنّ هذا هو الذي قيل عنه بإشعياء النبي القائل: صوتُ صارِخٍ في البرّيّةِ: أعِدّوا طريق الربّ. اصنعوا سُبُلَهُ مُستقيمةً")[3]، وتكرر في مرقس[4]، ولوقا[5]، ويوحنا[6]، ويرونه تنبيهًا لبني إسرائيل بمجيء المسيح، ويقولون إن المقصود بالرب هو عيسى– عليه السلام–، وحسبنا ما ردّ به صاحب الفارق حيث قال:(إنّ الصوت الصارخ في البرية إشارة إلى تنبيه العباد بأن يستعدوا

(١) مت 3: 13– 15.
(٢) مر 1: 9.
(٣) مت 3: 3
(٤) مر 1: 3.
(٥) لو 3: 4.
(٦) يو 1: 23.

لطريق الرب بأعمالهم الصالحة وأن يصنعوا سبله، أي أوامره المستقيمة، في الأحوال والأقوال والاستعداد ليوم المعاد، وليس هناك ما يدل على أنّ المراد الاستعداد لمجيء عيسى وأنه هو الرب ومَن فهم ذلك فقد وَهِمَ، وإن سلم فلا مانع لأنه لا شك في كونه عليه السلام هاديا مَن اتبعه إلى طريق مولاه الذي أرسله ويكون لفظ استعمال الرب على معناه اللغوي. وقد فسر في– ص–1ف– 38[1] من إنجيل يوحنا لفظ الرب بالمعلم فيكون هنا بمعنى معلمهم ومرشدهم، وأنت خبير بأن رئيس البيت ربه وصاحب الإبل ربها والمسيح هو رئيس بيت يعقوب ومربيهم بإرشاده، فالذي يسمي المسيح ربا بهذا المعنى فهو غير مشرك ومَن يعتقده ربا بمعنى الخالق فهو مكذب لإنجيله مُشرِك ومعاند بلا شبهة عند كافة الملل الإلهية، على أن الأناجيل الموجودة الآن حال كونها محرفة تشهد بكون المسيح عليه السلام عبدًا لله تعالى)[2].

إنّ رسول الله يحيى بن زكريا– عليه السلام– الذي سمته النصارى يوحنا المعمدان ما جاء إلا ليؤدي مهمة ابتعثه ربه لأجلها، وما كان عيسى بن مريم– عليه السلام– إلا مُتمّما لطريق الوحدانية الذي استُشهد في سبيله يحيى وغيره مِن الأنبياء، ولمّا تزامنت بعثة عيسى و بعثة يحيى– عليهما السلام– وكان يحيى سابقًا على عيسى فكان مِن الطبيعيّ أن يشهد المتقدم للمتأخر، ولمّا كان النصارى يرون

(١) تقول الفقرة المشار إليها:(فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان، فقال لهما:" ماذا تطلبان؟". فقالا:" رَبّي" الذي تفسيره: يا معلم. "أين تمكث؟".) يو 1: 38.

(٢) عبد الرحمن الباجه جي زاده، الفارق بين المخلوق والخالق، ص42، الطبعة الأولى، الناشر: مكتبة النافذة، الجيزة– مصر 2006م.

أن يوحنا شهد بألوهية المسيح وأنّه بشّر بمجيء الرب أثبتنا من خلال الأناجيل أنّ يوحنا ما كان يرى المسيح إلا بشرًا عبدًا رسولًا.

المبحث الثاني

المسيح في عيون تلاميذه.

لا شك أنّ تلامذة الشيخ هم أقرب النّاس إليه وألصقهم به وأعلمهم بأحواله وبطبيعته وبصفاته وبتقلب مزاجه، فيعرفون ما يُحزنه وما يسرّه، لا سيما لو كان هذا الشيخ أعزب ليس له أسرة يأوي إليها ويبيتُ بينها ويقوم عليها، في هذه الحالة سيحل هؤلاء التلاميذ محل أسرته وتكون حلقة العِلم التي يبذل من خلالها عِلمه لهم هي بمثابة بيته وداره، وهذا شأن المسيح مع تلامذته، وهذا ما أكّدت عليه الأناجيل، جاء في إنجيل لوقا:(وجاءَ إليهِ أمّهُ وإخوتُه، ولم يقدروا أن يصلوا إليه لسببِ الجَمعِ. فأخبروهُ قائلينَ:" أمُكُ وإخوتُكَ واقفُونَ خارِجًا، يُريدُونَ أن يروكَ". فأجابَ وقالَ لهُم:" أمُي وإخوتي هم الذينَ يسمعونَ كلمةَ اللهِ ويعملونَ بها)[1]، وجاء في إنجيل مرقس:(فجاءَت حينئذٍ إخوتُهُ وأُمُّهُ ووقفوا خارِجًا وأرسلوا إليهِ يدعونَهُ. وكان الجَمعُ جالِسًا حَولَهُ، فقالوا لهُ:" هُوَاذَا أمُّكَ وإخوتُكَ خارِجًا يطلبونَك". فأجابَهُم قائِلًا:" مَن أمّي وإخوتِي؟". ثمّ نظَرَ حَولَهُ إلى الجالِسِينَ وقالَ:" هَا أُمّي وإخوتي، لأنّ مَن يصنعُ مشيئةَ اللهِ هُوَ أخِي وأُختِي وأُمّي")[2]، وجاء في إنجيل متى بشكلٍ أدق:(وفيما هو يُكلّمُ الجُمُوعَ إذا أمُّهُ وإخوتُهُ قد وقفوا خارِجًا طالبينَ أن يُكلّمُوهُ. فقَالَ لهُ واحِدٌ:" هو ذا أُمُكَ وإخوتُكَ واقفينَ خارِجًا طالبينَ أن يُكلّمُوكَ". فأجابَ وقالَ للقائلِ له:" مَن هي أمّي ومَن هم إخوتي؟". ثمّ مدّ يده نحو تلاميذه وقال:" ها أمّي وإخوتي. لأنّ مَن يصنَعُ مشيئةَ أبي الذي في السماوات هُوَ أخي وأختي وأمّي")[3].

(١) لو 8: 19– 21.
(٢) مر 3: 31– 35.
(٣) مت 12: 46– 49.

وقبل أن نُعرّج على طبيعة المسيح كما كان يراها تلامذته نُعرّفُ بإيجازٍ بهؤلاء التلاميذ، وليس قصدنا هنا أن نتتبع سير هؤلاء التلاميذ أو أن نُسهب في بيان أعمالهم وعظاتهم وما إلى ذلك، بل هدفنا أن نُحدّد تلاميذ المسيح، مِن وجهة نظرٍ نصرانيّةٍ خالصة، حيث وقع الاضطراب في تحديد تلاميذ المسيح، ويُلاحَظ هذا الاضطراب في ذِكر الأناجيل لأسماء التلاميذ الاثني عشر[1]، بينما لم تحدد الأناجيلُ التلاميذَ السبعين وذكرتهم على وجه الإجمال[2]، ووقع الخلاف بينهم فيمن يشمله شرف التلمذة ممن لا ينطبق عليه هذا اللقب، وقد لخّص يوسابيوس القيصريّ في تاريخه هذا الخلاف فقال:(لا يُوجد أي بيان عن أسماء التلاميذ السبعين. ويُقَالُ أن برنابا[3] كان فعلًا واحدًا منهم. وقد تحدّث عنه سفر أعمال الرسل في عدة مواضع سيما بولس في رسالته إلى أهل غلاطية. ويقولون

---

(١) مت 10: 2- 4، ومر 3: 13- 19، ولو 6: 14- 16.

(٢) لو 10: 1- 24.

(٣) جاء عنه في قاموس الكتاب المقدّس:(لاوي قبرصي الجنس اعتنق الديانة المسيحية في زمان الرسل فترك علاقاته العالمية وابتدأ يجاهد في نشر بشرى الخلاص بين العالَم ويحثّ النّاس على اتباع الديانة المسيحية ويعزيهم في مصائبهم ولذلك سمّاه الرسل برنابا أي ابن الوعظ بعد ما كان اسمه أولًا يوسف... والبعض ينسبون إليه الرسالة إلى العبرانيين وتُنسَب إليه رسالة معنونة باسمه إلا أنه لا يُعرَف كاتبها من هو) ج1/ ص223، 224 باختصار.

أيضًا أن سوستانيس[1] الذي كتب إلى أهل كورنثوس مع بولس كان واحدًا منهم. هذه هي رواية أكليمنضس[2] في الكتاب الخامس من مؤلفه "وصف المناظر" الذي فيه يقول أيضًا إن "صفا"[3] كان أحد السبعين تلميذًا وهو رجل حمل نفس اسم الرسول بطرس... ويُقال أيضًا إنّ متياس[4] الذي حُسِبَ مع الرسل بدلا من يهوذا، وكذا الشخص الذي تشرف بأن يكون مرشحًا معه[5] حُسبًا مستأهلين لنفس الدعوة مع السبعين. ويقولون إن تدّاوس[6] أيضًا كان واحدًا منهم... ولدى

---

(١) جاء في "تاريخ الكنيسة" لـ"يوسابيوس القيصريّ"، أنّ سوستانيس هذا ورد ذكره في الفقرة الأولى من الإصحاح الأول مِن الرسالة إلى أهل كورنثوس، ويُقال أنّه شارك بولس في كتابة هذه الرسالة، ص43 باختصار.

(٢) الأسقف الثالث لروما بعد بولس ولينوس، وكان شريكًا لبولس، كتَبَ رسالتين إلى أهل كورنثوس، بسبب النزاع الذي دبّ بين النصارى في كورنثوس، راجع: "تاريخ الكنيسة" لـ"يوسابيوس القيصريّ"، ص212، و"قاموس الكتاب المقدس"، ج1/ ص129.

(٣) جاء عنه في قاموس الكتاب المقدّس:(لقب لسمعان فسّرهُ يسوع ببطرس وهي كلمة يونانية معناها صخر أو بالحري حجر) ج2/ ص7.

(٤) جاء عنه في قاموس الكتاب المقدّس:(تلميذ يسوع المسيح لازم ربّه من ابتداء خدمتِه إلى صعودِه فعُيّن بالقرعة ليأخذ موضع يهوذا الاسخريوطي... ولا نعلم شيئًا عن حياته وخدمته بعد ذلك غير أن بعض التقليديين يقولون إنه كرز في كوش واستشهد هناك وغيرهم يزعمون أنه خدم في اليهودية فرجمه اليهود) ج2/ ص311، 312 باختصار.

(٥) هو يوسف الذي يُعرف برسابا، جاء عنه في قاموس الكتاب المقدس:(تلميذ يُدعى أيضًا برسابا أحد المترشحين ليأخذ وظيفة يهوذا الاسخريوطي بين الرسل) ج2/ ص552.

(٦)جاء عنه في قاموس الكتاب المقدّس:(يهوذا الرسول ويُسمّى أيضًا لبّاوس تدّاوس(مت10: 3) وتدّاوس(مر3: 18) ويهوذا أخا يعقوب(لو6: 16وأع 1: 13)

التأمل تجدون أن مخلصنا كان له أكثر من سبعين تلميذًا حسب شهادة بولس الذي يقول إنه بعد قيامته من الأموات ظهر أولًا لصفا ثم للاثني عشر، وبعدهم ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ)[1]. ولندع هذا الاختلاف الذي وقع فيه النصّارى بشأن تحديد تلاميذ المسيح جانبًا وحسبنا أن نعتبر بمن سمّتهم الأناجيل "تلاميذ المسيح" أيًّا ما كانت أسماؤهم أوشخصياتهم، وسواء كان المعنِي بهذا المصطلح الاثنا عشر أو السبعون أو غيرهم.

وبعد التعريف الموجز بتلاميذ المسيح وبيان مدى قربهم مِن أستاذهم نقول: إنّ المسيح كان يوجّه تلاميذه ليسألوا الله – جل وعلا– ويعبدوه– سبحانه– ويتوجهوا إليه– عز وجل– وما دعاهم قط لعبادته هو ولا للتوجه أوللتعبد أوللتذلل إليه، جاء في إنجيل متى على لسان المسيح وهو يخاطب التلاميذ:(فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تُعطُوا أولادَكم عطايا جيّدةً، فكم بالحَريّ أبوكُم الذي في السماوات، يهب خيراتٍ للذينَ يسألونه!)[2]، وكان يقول لهم :(مَن يقبلكم يقبلني، ومَن يقبلني يقبلُ الذي أرسلني)[3]، وكان يُصلّي لربه – جل وعلا–

ويهوذا "ليس الاسخريوطي" (يو 14: 22). ولا نعلم هل هو أخو يعقوب بن حلفي أو هو أخو يعقوب المسمّى أخا الرب (مت13: 55 ومر6: 3) كما أننا لا نعلم تمامًا إذا كان ذانك اليعقوبان واحدًا أو اثنين وذلك ليس لمخالفة بين الكُتّاب الملهمين بل لنقصٍ في الشرح يمنعنا قطعًا عن حل هذه المسألة) ج2/ ص533، 534.

(١) تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، ص43، 44 باختصار.

(٢) مت 7: 11.

(٣) مت 10: 40.

ويُعلمهم كيف يُصلون ويحضُهم على الصلاة لربهم وخالقهم ومالكهم– سبحانه وتعالى–، جاء في إنجيل متى عن المسيح والتلاميذ:(فقال لهم: نفسي حزينةٌ جدًا حتّى الموتِ. امكثوا ههنا واسهروا معي. ثمّ تقدّم قليلًا وخرّ على وجهِهِ، وكان يُصلّي قائلًا: يا أبتاهُ، إن أمكنَ فلتعبُر عني هذه الكأسُ، ولكن ليسَ كما أُريدُ أنا بل كما تُريدُ أنتَ. ثمّ جاءَ إلى التلاميذ فوجدهم نيامًا، فقالَ لبطرس:أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعةً واحدةً؟ اسهروا وصلّوا لئلا تدخلوا في تجربة. أمّا الروح فنشيط وأمّا الجسدُ فضعيفٌ)[1]، فقوله "اسهروا وصلوا" واضح لا يحتاج إلى توضيحٍ أو تأويل، وما ورد في الأناجيل ولا في غيرها عن التلاميذ ولا عن واحدٍ منهم أنهم كانوا يُصلّون للمسيح أو يعبدونه أو يسبحونه، بل كانوا يسبحون الله– عز وجل– وهذا ما نصّ عليه لوقا في إنجيله حيث يقول:(ولمّا قرب عند منحدر جبل الزيتون، ابتدأ كل جمهور التلاميذ يفرحون ويُسبحون الله بصوتٍ عظيم، لأجل جميع القوات التي نظروا، قائلين: مبارك الملك الآتي باسم الرب! سلامٌ في السماء ومجدٌ في الأعالي!)[2]، هؤلاء هم التلاميذ وهذه هي منزلتهم من المسيح ومكانتهم منه، وهذا ما ربّاهم عليه المسيح– عليه السلام–، ومع هذا لم يرد عنهم في الأناجيل أنهم ألّهوا المسيح أو رفعوه فوق مرتبة النبوة، بل كانوا يرونه إنساناً نبياً، ومصداق هذا في قصة إحياء الميت في إنجيل لوقا حيث جاء فيها:(فجلس الميت وابتدأ يتكلم، فدفعه إلى أمّه. فأخذ الجميع خوفٌ، ومجّدوا الله

(١) مت 26: 38– 41.

(٢) لو 19: 37– 39.

قائلين:" قد قام فينا نبيّ عظيمٌ، وافتقدَ اللهُ شعبهُ")[1]، فالجميع بما فيهم التلاميذ الكثيرون كانوا يرونه نبياً عظيماً قد افتقد الله به شعبه، حيث جاء في صدر هذه الرواية:(وفي اليوم التالي ذهبَ إلى مدينةٍ تُدعَى نايِينَ، وذهبَ معَهُ كثيرونَ مِن تلاميذهِ وجَمعٌ كثيرٌ)[2] دون تعليقٍ من المسيح– عليه السلام– أو اعتراضٍ أو تعديلٍ على وصف التلاميذ له بوصف النبي العظيم!

ويؤكد هذه الرؤية ما جاء في نفس الإنجيل عن اثنين من تلامذة المسيح حيث يقول الإنجيل:(وفيما هما يتكلمان ويتحاوران، اقترب إليهما يسوع نفسُهُ وكان يمشي معهما. ولكن أُمسِكَت أعينُهُما عن معرفتِه. فقال لهما: ما هذا الكلام الذي تتطارحانِ بهِ وأنتما ماشيانِ عابسَين؟. فأجابَ أحدُهُمَا، الذي اسُمُه كِلِيُوبَاس[3] وقال لهُ:هل أنتَ مُتغَرّبٌ وحدَكَ في أورشَلِيم ولَم تعلَم الأمُور التي حدثت فيها في هذه الأيام؟. فقال لهما:وما هي؟. فقالا: المُختصّةُ بيسوعِ النّاصريّ، الذي كان إنساناً نبيّا مُقتدراً في الفعل والقول أمامَ اللهِ وجميعِ الشعب)[4]، هذا هو المسيح –عليه السلام– عند أصحابه وتلامذته: إنسان نبي مقتدر في الفعل والقول، وليس أكثر من ذلك، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه

---

(١) لو 7: **15– 16**.

(٢) لو 7: **11**.

(٣) اسم معناه "كثير الشهرة"، جاء في قاموس الكتاب المقدس:(أحد التلميذَين اللذَين لاقاهما المسيح على الطريق إلى عمواس (لو**24**: **18**) وظن بعضهم أنه كلوبا (يو**19**: **25**)) ج**2**/ ص**266**.

(٤) لو **24**: **15– 19**.

الشهادة كانت بعد القيامة المزعومة في الأناجيل، أي أنها عقيدة التلاميذ الأخيرة والثابتة التي لا ناسخ لها والتي استمر عليها هؤلاء التلاميذ طيلة حياة المسيح وبعد رفعه –عليه السلام–.

المبحث الثالث

المسيح في عيون أهله وأقاربه.

ذكرت الأناجيل جانبًا مِن حياة المسيح الاجتماعية، فتناولت على وجه الإيجاز نسبه وميلاده وهروبه مع أسرته إلى مصر ثمّ عودتهم إلى الناصرة، وكان مِن الضروريّ أن يقف البحث على رؤية هؤلاء الأقارب مِن أمّ وإخوة وغيرهم لهذا القريب، هل كانوا يرونه إنسانًا عاديًّا وبشرًا اختاره الله للنبوة والرسالة؟ أم كانوا يرونه ابن الله المتولد مِن الآب وصاحب أقنوم البنوة الأزلي الموجود قبل العالَم كما يراه جمهور النصارى الآن؟ ولكن قبل توضيح هذه الرؤية واستخلاصها مِن الأناجيل يجدر بنا أن نُعرّف بأقارب المسيح وأهله الذينَ ذكرتهم الأناجيل.

وأول هؤلاء أمّه "مريم" التي وصفتها الأناجيل بأنها كانت مخطوبةً ليوسف[1]، جاء عنها في قاموس الكتاب المقدس:(العذراء أم المسيح من سبط يهوذا ومن سلالة داود وكانت نسيبة أليصابات أم يوحنا المعمدان من سبط لاوي وسلالة هارون وبعد حوادث طفولية المسيح أي زيارة الرعاة والمجوس وختان المسيح وإحضاره إلى الهيكل والتوجُّه إلى مصر لم تُذكَر مريم سوى خمس مراتٍ في الأناجيل والأعمال وهي: أولًا: في قصة العرس في قانا الجليل(يو2: 3). ثانيًا: لمّا حاولت أن تتكلم مع ابنها بينما كان يُعلّم الشعب(مت12: 46 ومر3: 31 ولو8: 19). ثالثًا: عند صلب المسيح (يو19: 26). رابعًا: في الأيام الأولى بعد صعوده(أع1: 14). خامسًا أم يعقوب ويوسي ويهوذا وسمعان وجملة بنات(مت13: 55، 27: 56، ومر6: 3 و15: 40و 47)[2]، هذه هي مريم والدة

---

(١) جاء في إنجيل متى:(أمّا ولادة يسوعَ المسيحِ فكانت هكذا: لمّا كانت مريمُ أمّهُ مخطوبةً ليوسف، قبل أن يجتمعا، وُجِدَت حُبلى مِن الرُوحِ القُدُسِ) 1: 18.

(٢) قاموس الكتاب المقدس، مرجع سابق، ج2/ ص329.

المسيح عند النصارى وفي أناجيلهم، ولنقف مع هذه النصوص التي أشارت إليها الأناجيل لنرى هل ورد فيها ما يمكن اعتباره تأليه الأم لوليدها؟! أمّا النّص الأول فيقول:(وفي اليومِ الثالث كان عُرسٌ في قانا الجليل، وكانت أمّ يسوع هناك. ودُعِيَ أيضًا يسوع وتلاميذه إلى العُرسِ. ولمّا فرغت الخمرُ، قالت أمُّ يسوعُ له: ليس لهم خمر. قال لها يسوعُ: ما لي ولكِ يا امرأةُ ؟ لَم تأتِ ساعتِي بعدُ)[1]، ويقول النّص الثاني:(وفيما هو يُكلّم الجموع إذا أُمُهُ وإخوتُه قد وقفوا خارجًا طالبينَ أن يُكلمُوه. فقالَ له واحدٌ:" هوذا أمُكَ وإخوتُكَ واقفونَ خارجًا طالبينَ أن يُكلموكَ)[2]، ويقول النّص الثالث:(وكانت واقفاتٍ عند صليبِ يسوعَ، أمُّهُ، وأُختُ أُمّه، مريم زوجةُ كِلوبا، ومريم المجدلية. فلمّا رأى يسوعُ أُمّه، والتلميذ الذي كان يحبه واقفًا، قال لأمّه: يا امرأةُ، هُوذا ابنُكِ)[3]، ويقول النّص الرابع:(هؤلاءِ كُلُهُم كانوا يُواظِبُونَ بنفسٍ واحدةٍ على الصّلاةِ والطِّلبَةِ، مع النّساء، ومريمَ أمّ يسوعَ، ومع إخوتِهِ)[4]، ويقول النّص الخامس:(ولمّا جاء إلى وطنِه كانَ يُعلّمهم في مجمعهم حتى بُهِتُوا وقالوا: مِن أينَ لهذا هذه الحكمةُ والقوّات؟ أليس هذا ابن النجّار؟ أليسَت أُمّهُ تُدعَى مريم، وإخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا؟)[5]، فبغض النظر عمّا في النّص الأول من نسبة المسيح إلى عقوقه لأمّه وسوء أدبه في

(١) يو **2**: **1**– **5**.

(٢) مت **12**: **46**– **47**.

(٣) يو **19**: **25**– **26**.

(٤) أع **1**: **14**.

(٥) مت **13**: **54**– **55**.

الحديث معها، وعمّا نسبه نفس الإنجيل للمسيح ولتلاميذه ولأمه مِن شرب الخمر، وعمّا ورد في النّص الثاني مِن عقوقٍ مِن لونٍ آخر وهو الإعراض عن الأم وعدم إجابتها مع استطاعة ذلك وعدم وجود ما يمنع منه أو يحول دونه، وعمّا ورد في النص الثالث مِن سوءِ أدب مع الأم في لحظةٍ هو أحوجُ ما يكون فيها إلى البر بأمّه ودعواتها له!، فإنّ النّص الرابع يبيّن صلاة التلاميذ ومريم وأبنائها، وما نصّت الأناجيل على صلاةٍ للتلاميذ غير التي علّمها المسيح لهم، والتي لم يكن فيها شبهة تقديسٍ للمسيح، بل توجُّه خالص لله رب العالمين، وهذه هي نفس الصلاة التي كانت تؤديها مريم مع التلاميذ وإلا لو خالفت لذُكِرَ ذلك عنها، وبناءً على هذه المواطن التي ذَكِرت فيها مريم ومواقفها – سواء كانت قبل بعثة عيسى أو بعد تكليفه– فإنّ مريم الأم لم تكن ترى المسيح إلا بشرًا رسولًا.

وبعد مريم يأتي ذِكر يوسف النجّار الذي وصفته الأناجيل بأنه "خطيب مريم"، جاء عنه في القاموس:(زوج مريم العذراء وكان نجّارًا(مت13: 55) واشتغل ربنا بهذه الصناعة إلى أن ابتدأ بخدمتِه التبشيرية (مر6: 3) ويُقال عن يوسف أنّه كان بارًّا(مت1: 19) فأخبره الملاك أن مريم ستلد ابنًا هو المسيح المنتظر فرافقها إلى بيت لحم لكي يكتتبا في سجل قريتهما... ولمّا بلغ المسيح 12سنة من العُمر أخذاهُ إلى أورشليم في عيد الفصح وبعد ذلك لم يُذكَر يوسف في العهد الجديد ويظن الأكثرون أنه قد مات قبل ابتداء خدمة المسيح لأنهُ لا يُذكَر مع مريم. ثمّ إنّهُ عند موت المسيح أوصى يوحنا بالاعتناء بها ولو كان يوسف حيّا فالمرجّح أنهُ لم يكن من داعٍ لتوصية يوحنا بها (يو19: 25– 27))[1]، وإذا

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، مرجع سابق، ج2/ ص551، 552 باختصار.

تتبعنا نصوص الأناجيل التي جاءت على ذِكر يوسف النجار والتي ذكرها القاموس[1] نجدها جميعًا لم تذكر شيئًا على لسان يوسف يُفهَم منه أنّه كان يرى المسيح إلهًا أو جزءًا مِن إله، سواء في طفولته أو في شبابه.

وبالإضافة إلى مريم ويوسف النجّار فإن يعقوب ويوسي وسِمعان ويهوذا الذين سمّتهم الأناجيل "إخوة المسيح" وسائر أخواته لم يكونوا يرونه إلا شخصًا عاديّا، ولم تنقل الأناجيل أنّ أحدًا منهم كان يرى في المسيح شيئًا زائدًا على البشرية، ولو كانوا يرون فيه غير ذلك لكانت قد احتفت الأناجيل بهذه الأقوال ولوضعتها في الصدارة لأهميتها حيث صدرت مِن أهل بيت المسيح الذين عاينوا حياته منذ ولادته وطفولته حتى صلبه المزعوم، وبما أنّ الأناجيل لم تنقل شيئًا مِن ذلك فإن هؤلاء جميعًا لم يروا المسيح إلا بشرًا عاديًّا يزيد عنهم فقط في تعبده لربه واختصاص الله له بالرسالة إلى بني إسرائيل.

(١) يقول النّص الأول على لسان أهل الناصرة:(أليس هذا ابنَ النجّار؟ أليست أمّهُ تُدعى مريم، وإخوته يعقوب ويوسي وسِمعان ويهوذا) مت13: 55، والنّص الثاني مرقس 6: 3 قريب مِن نّص متى، ويقول النّص الثالث:(فيوسف رجُلُهَا إذ كانَ بارًّا، ولم يشأ أن يُشهِرَهَا، أرادَ تخليتَها سِرًّا) مت1: 19، وبقية القصّة وما دار فيها مِن أحداثٍ أهمها زيارة المجوس لبيت لحم وهروب يوسف ومريم والمسيح إلى مصر ثمّ عودتهم إلى الناصرة فقد شملتها الفقرات في (1: 20– 25) والإصحاح الثاني بأكمله.

الفصل الثاني

المسيح في عيون عامّة أهل زمانه بحسب الأناجيل.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الحالة الاجتماعية على عهد المسيح.

المبحث الثاني: المسيح في عيون أهل النّاصرة.

المبحث الثالث: المسيح في عيون أهل أورشليم.

مدخل

تبيّن مِن خلال الفصل الأول أن ألصق النّاس بالمسيح وأشدهم معاصرة له مِن أقارب وشيوخ وتلاميذ لم يكونوا يرونه إلا مجرد بشرٍ عاديّ، وخارج إطار المنزل الذي وُلِدَ فيه المسيح ونشأ، وبعيدًا عن هذه العائلة الصغيرة المكونة مِن يوسف ومريم وإخوة وأخوات نجد بيئةً شديدة التنوع والاختلاف، تكونت على أساسٍ كنعانيّ بطلسيّ سلوقيّ مكابيّ يونانيّ رومانيّ يهوديّ مختلط، وليس شرطًا وجود هذه العرقيات جميعها في زمن المسيح ولكنّ التأثر بها كان لا يزال موجودًا آنذاك.

ولا شك أنّ هذه البيئة المتشعبة والمتداخلة لا يُمكن أن تجتمع على أمرٍ يخالف العقل أو يتناقض مع أبسط معطياته، فهل كانت هذه البيئة ترى في المسيح لاهوتًا يرتقي به المسيح عن سائر بني البشر؟ وهل نقلت الأناجيل عن أهل هذا المحيط المتسع والمتشعب أنهم كانوا يرون بالمسيح شيئًا من الألوهية؟ أم أنّ الجميع اتفقوا على أنّ المسيح مجرد بشرٍ عاديّ راقبوه منذ صغره وحتى صلبه المزعوم فلم يجدوا فيه سوى البشرية المحضة؟ هذا ما يُحاوِل هذا الفصل تتبعه والوقوف عليه.

المبحث الأول

الحالة الاجتماعية على عهد المسيح.

لا شك أنّ البيئة التي عاش فيها المسيح(عليه السلام) كانت شديدة التعقيد؛ وذلك نظرًا لما تعرّضت له مِن غزوٍ تلو الآخر، واستيطانٍ مِن شعوبٍ مختلفة أمّلت أن تكون فلسطين بيئة ملائمة لبناء مجدها، وقد ترك كل شعبٍ مِن هذه الشعوب بصمته في فلسطين حتى زمن ميلاد المسيح– عليه السلام–، وقبل الخوض في رؤية قاطني موطن المسيح الذين ذكرتهم الأناجيل يحسن بنا أن نتعرف على تركيبة تلك البقعة، وليس هدفنا من هذا تقصي الحالة الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والدينية، بل التعرف على التركيبة السكانية لفلسطين وعلى الحالة الاجتماعية فيها إبان عصر المسيح بإيجازٍ واختصارٍ شديدَين مما يعين على فهم ما ورد على ألسنة هؤلاء المعاصرين بخصوص المسيح.

كانت فلسطين في تلك الحقبة مسرحًا لصراعاتٍ عرقيّةٍ متباينة، كما كانت تعاني تنازع الحُكّام بين أجانب ومحليين، فالرومان والفرس واليهود تبادلوا السيطرة على أرض فلسطين، وكانت الغلبة إبان مولد المسيح للرومان بعد تغلبهم على الفرس وتنصيب هيرود ملِكًا على فلسطين سنة 37 قبل الميلاد، وقد حكم هيرود حتى السنة الرابعة مِن ميلاد المسيح (وكان هيرود مِن أنصار الرومان الذين كان يدين لهم في ارتقائه عرش أورشليم، وكان ضد القومية اليهودية وكان اليهود يكرهونه للسبب ذاته... وبعد موت هيرود عادت الفوضى إلى البلاد بسبب كثرة أبنائه من زوجاته العشر، فأقام الرومان حَكَمًا مُباشرًا على البلاد. وقرر أغسطس سنة 3 ق.م توزيع البلاد على ثلاثة من أبناء هيرود، فأعطى حُكم يهودية وسامارية وإيدومية(فلسطين الوسطى والجنوبية) إلى أرشيلاس، والجليل وشرقي الأردن إلى أنتيباس، وأعطى حكم المنطقة الواقعة بين ديكابوليس ودمشق إلى فيليب

تراكونيتيس. واستمر فيليب حتى سنة 34م، واستمر أنتيباس حتى سنة 39م، أمّا أرشيلاس فقد مات سنة 6م. وبعد موته نقل الرومان حكم فلسطين الوسطى والجنوبية إلى أيدٍ رومانية. وكان من هؤلاء الحُكام الرومانيين بيلاطس(26– 36م) الذي وقعت في عهده المحاولة اليهودية لصلب سيدنا المسيح عليه السلام. وعند نهاية عهد بيلاطس عاد الحكم ثانية إلى أسرة هيرود، فاستلم زمام الحكم هيرود أجريبا الأول الذي كان يدفع الخراج إلى الإمبراطور الروماني جايّوس. وعند موت هيرود أجريبا الأول انتقل الحُكم من جديد ونهائيًا إلى الرومان الذين اعتبروا فلسطين إقليمًا رسميًّا لهم... وبذلك انطفأت آخرُ شمعة للسيادة اليهودية الصورية التي كانت أسرة هيرود– اليهودية نفاقًا– تمارسها. والحقيقة أن السيادة اليهودية الإسمية كانت قد انتهت نهائيًا مع سقوط أنتي جونوس، آخر مكابي حكم أورشليم سنة 40ق.م، هذا مع أن الدويلة اليهودية التي قامت بعد مجيء اليهود من بابل إنما قامت كتابعة للدول الأخرى سواء الفرس أو اليونانيين الهيلينيين الذين كانوا قد نحتوا لأنفسهم إمبراطورية من أجزاء الإمبراطورية الفارسية. وخلال حُكم هيرود أجريبا الثاني كان اليهود يضغطون عليه حتى اضطر الحاكم الروماني في سورية أن يرسل قوات إضافية لتخفيف وطأة الضغط اليهوديّ في أورشليم)[1].

كان يهود فلسطين على عهد المسيح يُعانون التشرذم وتسلّط الرومان والفرس عليهم، حيث (كان بنو إسرائيل أقلّ مِن أمّة، حتى زمن شاول. كانوا أخلاطًا مِن عصاباتٍ جامحة. كانوا مجموعة غير منسجمة من قبائل ساميّة صغيرة،

(١) ظفر الإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم، ص86 وما بعدها باختصار، الطبعة الثالثة، بيروت– لبنان 1981م.

أفّاقة بدوية، تقوم حياتها على الغزو والفتح، والجَدب وانتهاب القرى الصغيرة، حيث تقضي عيشًا رغيدًا دفعة واحدة في بضعة أيام. فإذا مضت هذه الأيام القليلة، عادت إلى حياة التيه والبؤس... ظل اليهود- حتى آخر مرحلة من تاريخهم- في أدنى درجة من الحضارة، قريبين من دور التوحش الخالص. ولم يجاوز اليهود طبائع أمم الزرّاع والرعاة إلا قليلًا جدًا. وخضع اليهود لنظام رعائي، ولم يكادوا يدخلون دائرة التطور الاجتماعيّ)[1]، حيث كانوا في قمة الانغلاق ورفض الآخر، وعلى الرغم من ذلك فلم يكن اليهود وسط هذه التركيبات شيئًا يسيرًا، بل كانت تحركاتهم تثير حفيظة الرومان، حيث ثار اليهود على الحاكم الروماني أحيانًا وعلى الحاكم المباشر أحيانًا أخرى، سواء كان الداعي لتلك الثورات سياسيًّا أو اقتصاديًّا أو غير ذلك، فقد (قامت عدة ثورات يهودية ضد السلطات الرومانية في بعض الأحيان أو ضد الحكّام في أحيان أخرى، وعلى سبيل المثال: 1- فإنّ الثورة الشعبية ضد أرخلاوس حاكم اليهودية أدت إلى قلة عبور القوافل التجارية في منطقة الجنوب، فقَلّ دخل الجمارك فزادت البطالة، وارتفعت الأسعار، وزاد عدد قطّاع الطرق، حتى إن الشخص كان لا يقدر السفر وحده من أورشليم إلى أريحا. 2- الثورة أيام بيلاطس: أراد بيلاطس تخفيض الضرائب بسبب ثورة اليهود لكن هيرودز رفض ذلك. وفي ذلك يقول هيرودز الحاكم إلى بيلاطس: هل يمكن تخفيض الضريبة بسبب الثورات؟ إن تخفيض الضرائب يُقلل الوارد إلى الخزينة في روما، ومتى وصل خبر ذلك فإنه سيغضب

---

(١) جوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة:عادل زعيتر، ص49 وما بعدها باختصار، الطبعة الأولى، دار طيبة للطباعة والنشر، الجيزة- مصر2009م.

الامبراطور وينحو باللائمة عليك، وينسب لك سوء التصرف وعدم الحنكة السياسية)[1].

وإذا أردنا وصفًا مُختصرًا لتلك الحقبة العصيبة والشديدة التعقيد مِن عُمر الزمان يمكننا أن نترك المجال للقس إكرام لمعي الذي لخّص تلك الفترة الزمانية عن فلسطين بقوله:(في عام 76ق.م بدأ انهيار الامبراطورية اليونانية وانقسمت إلى أربعة أقسام مختلفة وبدأ نجم الرومان يسطع في الأجواء، ولقد عاش اليهود في سلامٍ مع الرومان أثناء نضالهم ضد اليونانية القديمة. وفي عام 63ق.م أصبحت اليهودية مستعمرة رومانية عندما دخلها بومبي على رأس جيش، وعَيّن حاكمًا لليهودية وزيرًا مِن أصل أدومي نصف يهودي ونصف هلليني، يدعى أنتيباس، والذي أصبح ابنه هيرودس بعد ذلك حاكمًا مؤثرًا في اليهودية وغيرها من عام 4ق.م ولقد كان هيرودس نصف يهودي يعيش الحضارة اليونانية والرومانية، وكان سياسيًّا داهيةً يتمتع بذكاء غير عاديّ، وعندما جاء هيرودس إلى السُلطة أثناء حكم والده كحاكم للجليل حكم بروحٍ رومانية، فكان مرفوضًا من معظم اليهود خاصة لأنه فُرِضَ عليهم بواسطة الرومان... وأقام هيرودس علاقات قوية مع تجمعات اليهود في روما والاسكندرية وبابل مع صداقة قوية لأغسطس قيصر، ولقد استخدم هيرودس علاقاته المتعددة والمتسعة في بناء الهيكل والأبراج والأسوار وأصبحت أورشليم مركزًا للحج من كل أنحاء العالم، وكان يأتي إليها مئات الألوف من اليهود في الأعياد العظمى وينصبون خيامًا حول الهيكل، حيث فُتِحَ الهيكل لكل البشر،

---

(١) سيد محمد عاشور، اليهود في عصر المسيح، ص65، 66، الناشر: دار القلم دمشق، والدار الشامية بيروت، 1992م.

وعلى بواباته تُغيّر العملات المالية إلى الشاقل المقدس لدفع ضريبة الهيكل، وكان الكهنة يبيعون الذبائح ويرفضون الذبيحة التي يأتي بها المتعبد ويشترونها منه بأبخس الأثمان، ثمّ يبيعونه ذبيحةً أخرى يوافقون هم على تقديمها بأغلى الأثمان، وتحوّل الدّين إلى تجارة، وكان الآلاف من الكهنة واللاويين يعملون حول منطقة الهيكل، وأصبح الهيكل أغنى مؤسسات الدولة... وقد نجح هيرودس في حفظ التوازن بين الهيكل والدولة، لكن هذا التوازن سقط في شهوره الأخيرة عندما رفع نسرًا ذهبيًّا رمز الامبراطورية الرومانية على البوابة الرئيسيّة للهيكل، وقد تم هذا بموافقة يهود العالم الذين كانوا سعداء بذلك، لكن المتطرفين رفضوا هذا التصرف، وقامت مجموعة من تلاميذ التوراة بتسلق البوابة وتحطيم النسر إلى قطع صغيرة، في ذلك الوقت كان هيرودس على فراش المرض في قصره لكنه تحرك بقوة، وخلع رئيس الكهنة، وقبض على التلاميذ الذين ارتكبوا هذا العمل، وسيقوا مقيدين إلى المسرح الروماني حيث أُحرِقوا أحياء، وبينما كان دخان كرامة هيرودس المجروحة يرتفع في السماوات مات في ربيع عام 4ق.م. وبالطبع لم تستمر مملكة هيرودس كثيرًا بعد ذلك فابنه من زوجته الأولى لم يكن صالحًا للحُكم، وأرخيلاوس الذي ترك له اليهودية خُلِعَ بواسطة الرومان عام 6م، وحُكِمَت اليهودية مباشرة بموظفين رومان من قيصرية. أما الحفيد الأكبر للملِك هيرودس ويُدعى أغريباس فقد كان قادرًا على الملك فأعطاه الرومان اليهودية عام 37م، لكنه مات عام44م، وهكذا عادت روما لتحكم اليهودية مباشرة. وكان لموت هيرودس الكبير الأثر في إنهاء حُكم اليهود في فلسطين حتى منتصف القرن العشرين(1).

(١) إكرام لمعي، الاختراق الصهيوني للمسيحية، ،الطبعة الثانية، ص46 وما بعدها باختصار،

ولم يقف حدّ التوتر في تلك البقعة عند حدود النزاعات السياسيّة والاجتماعية بل تعدّاه إلى وجود نزاعٍ يهوديّ طائفيّ انعكس أثره على المجتمع بأسره، فالصدوقيون كانوا يبذلون جهدهم للحصول على المال غير مبالين بما يلحق بالشعب مِن أضرار، بينما كانت طائفة الفريسيين تظهر أمام الجميع بمظهر المدافع عن الشعب مما كان يتطلب دعم الشعب ومعونتهم لهم.

هذا باختصارٍ شديد حال أرض فلسطين إبان عصر المسيح– عليه السلام– فهناك حُكّام رومان وثنيون، وحُكّامٌ محليون مِن أهل فلسطين يدينون بالولاء للحاكم الرومانيّ ويسعون لإرضائه على حساب بني جلدتهم، وهناك شعبٌ فلسطينيّ يدين مُعظمه بالديانة اليهودية ويعيش بين مطرقة ضرائب الحُكّام وسندان ابتزاز رجال الدّين، وهناك مُصلحون يبذلون قصارى جهدهم لإنقاذ أرض النبوة والنبوات مِن الهوة السحيقة التي سقطت فيها، وكان مِن أهم هؤلاء زكريا ويحيى– عليهما السلام– وكان الختام بالمسيح–عليه السلام– والذي كانت شخصيته في خضم هذا الظلام لا لبس فيها.

الناشر: دار الشروق، القاهرة 1413هـ– 1993م.

المبحث الثاني

المسيح في عيون أهل النّاصرة.

قضت حكمةُ المولى- عز وجلّ- أن يُرسلَ الرسل إلى النّاس ليخرجوهم مِن الظلمات إلى النور، وليست ظلماتٌ أشد مِن تلك التي كانت تعانيها فلسطين إبان بعثة المسيح- عليه السلام-، حيث نقلت الأناجيل شيئًا مِن أحوال النّاس آنذاك، كما وضّحت رؤيتهم للنبوة والأنبياء، فذكرت مواقف أهل النّاصرة وأهل أورشليم مِن الأنبياء، وعرضت موقفهم مِن طبيعة المسيح ومِن رسالته- عليه السلام-، وقبل أن نتعرّض لهذه الرؤية يجدر بنا أن نتعرف على تلك المناطق التي عاش فيها المسيح وتنقّل بينها، والتي شهد أهلها طبيعة المسيح كل ذلك بحسب الأناجيل.

ونبدأ بالنّاصرة، تلك المدينة التي عاش فيها المسيح طفولته وصباه، جاء عنها في قاموس الكتاب المقدس:(مدينة في الجليل اشتهرت بكونها وطن المسيح مدة طفوليتِه وصباهُ إلى أن ابتدأت خدمتُه، وهي تبعد 14 ميلًا عن بحر الجليل و6 أميال عن تابور و66 ميلًا عن أورشليم. يمتد من جهة مرج ابن عمير شمالًا وادٍ هلاليّ الهيئة طوله ميل وعرضه ربع ميل يتسع أخيرًا فيكوّن طستًا يحيط به نحو من 15 تلا علو الواحد منها من 400 إلى 500 قدم والنّاصرة مبنية في هذا الطست وعلى جانب التلول المحيطة به، ومِن قمم هذه التلول يُرَى جبل الشيخ والكرمل والطور وجلبوع ومرج ابن عمير)[1] أما عن تاريخها فـ(لم تُذكَر النّاصرة في العهد القديم ولا في كتب اليونانيين والرومانيين القدماء قبل المسيح ولكنها ذُكرت أولًا في الإنجيل. وكانت مُحتقرة بين اليهود(يو1: 46). وذُكر أنها

(١) قاموس الكتاب المقدس، ج2/ ص404، 406.

في جبل (لو4: 29) في الجليل(مر1: 9) بقرب قانا لأنّ يسوع وتلاميذه دُعوا إلى العرس في تلك القرية (يو2: 1و 2و 11) وكان بقرب المدينة جرف"حافة الجبل"(لو4: 29) أراد الشعب أن يرموا المسيح منهُ. وذُكرت الناصرة 29 مرة في العهد الجديد. وفيها ظهر الملاك لمريم(لو1: 26) وكانت مسكن يوسف ومريم فعادا إليها بعد رجوعهما من مصر(مت2: 23) ورفضهُ أهلها فسكن كفر ناحوم غير أنه لم يزل يدعى يسوع الناصري(مت13: 54- 58 ومر6: 1-6 واع2: 22و3: 6و 4: 10و 6: 14) ودُعي تلاميذه ناصريين)[1]، فهذه المدينة كانت مُحتقرة كما أخبر القاموس واستشهد بإنجيل يوحنا الذي جاء فيه:(فِيلُبُّس وَجَدَ نثنائِيلَ وقالَ لهُ:" وجدنا الذي كَتَبَ عنهُ موسى في النّاموسِ والأنبياءُ يسوعَ ابنَ يُوسُفَ الذي من النّاصرةِ". فقَالَ لهُ نثنائِيلُ:" أمِنَ النّاصرةِ يُمكِنُ أن يكونَ شيءٌ صالِحٌ؟". قالَ لهُ فِيلُبُّسُ:" تعالَ وانظُر")[2]، وأكّد القاموس أيضًا على أنّ النّاصرة كانت مسكن يوسف ومريم فعادا إليها بعد رجوعهما من مصر واستشهد بما جاء في إنجيل متى عن يوسف:(ولكن لمّا سمع أنّ أرخيلاوُس يملك على اليهودية عِوضًا عن هيرودس أبيه، خاف أن يذهب إلى هناك. وإذ أُوحِي إليه في حُلمٍ، انصرفَ إلى نواحي الجليلِ. وأتى وسكن في مدينةٍ يُقالُ لها نّاصرة، لكي يتمّ ما قيلَ بالأنبياءِ:" إنّه سيُدعَى ناصِرِيًّا")[3]، كما أكّد على أنّ الملاك ظهر لمريم فيها واستشهد بما جاء في إنجيل لوقا:(وفي الشهرِ السّادِس أُرسِلَ جبرائيلُ

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، ج2/ ص 406.

(٢) يو1: 45- 46.

(٣) مت 2: 22- 23.

المَلاكُ مِن اللهِ إلى مدينةٍ مِن الجليلِ اسمُهَا نَاصِرةُ، إلى عذراءَ مَخطوبةٍ لرَجُلٍ مِن بيتِ داوُدَ اسمُهُ يُوسُفُ. واسمُ العذراءِ مَريَمُ)[1].

إذًا عاش المسيح في النّاصرة وفيها قضى فترة صباه، وكان أهلها أصحاب معرفةٍ تامّةٍ به –عليه السلام– وبأمه وبيوسف النجار وبسائر أفراد هذه الأسرة، وقد ذكرت الأناجيل أنّ أهل النّاصرة كانوا لا يرون المسيح إلا رجلًا عاديًّا وتعجبوا مِن إتيانه بالمعجزات، بينما تحدث معهم المسيح عن نبوته ولا شيء أكثر من النبوة، جاء في إنجيل متى:(ولمّا جاء إلى وطنه كان يُعلمهم في مجمعهم حتى بُهتوا وقالوا:" مِن أين لهذا هذه الحكمة والقوّات؟ أليس هذا ابن النجار؟ أليست أمّه تُدعى مريم، وإخوته يعقوب ويوسي وسِمعان ويهوذا؟ أوليست أخواته جميعُهنّ عندنا؟ فمن أين لهذا هذه كلها؟. فكانوا يعثرون به. وأمّا يسوع فقال لهم:" ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته")[2]، وقد تكرر ذِكر نفس الواقعة في إنجيل مرقس[3]، وفي إنجيل لوقا[4] أيضاً، ولو كان هؤلاء يرون في المسيح– عليه السلام– شيئًا زائدًا عن النبوة لكانوا أخبر النّاس به بعد أهله ومُعمّده وتلامذته، ولكانوا أبعد النّاس عن التعجب والاستغراب، مما يُدلل على أنّ هؤلاء الذين عاش المسيح بينهم وشاهدوا طفولته وفترة صباه لم يروا على المسيح في هذه الحقبة الخطيرة من عمر الإنسان ما يشهد بأن هذا الغلام صاحب ميزةٍ إلهية زائدة عن البشر العاديين.

---

(١) لو **1**: **26**– **27**.

(٢) مت **13**: **54**– **57**.

(٣) مر **6**: **1**– **4**.

(٤) لو **4**: **22**– **24**.

المبحث الثالث

المسيح في عيون أهل أورشليم.

ترعرع المسيح-عليه السلام- في النّاصرة وفيها عاش فترة صباه، وقد شهدت الأناجيل بأنهم كانوا يرونه بشرًا عاديًّا، كما قضى-عليه السلام- فترةً مِن عمره في أورشليم التي قال عنها صاحب القاموس:(كانت أورشليم في أيام ربنا حاصلة على كل العزّ والقوّة التي أوصلها هيرودس إليها فإن هذا الملك توفّي بعد ميلاد المسيح بأشهر قليلة وأَبقى في أورشليم عند وفاتِه قصرُه الملكيّ والهيكل وحصن أنطونيا المبني على برج بارس القديم... ومن وقت هيرودس الكبير إلى وقت ابن ابنهِ هيرودس أغريباس لم يستجدّ في المدينة شيءٌ من الأبنية المشهورة سوى قناة ماء بناها بيلاطس... وبعد موت أغريباس عادت اليهودية ولاية رومانيّة حكمها ولاة ظالمون لا يبالون بصالحها وحدثت في أورشليم تشكيات وعصيان وشغب إلى أن شرع فسباسبانس وابنهُ تيطس في محاربة اليهود لاخماد الثورة فحاصرا أورشليم ولم يكن في تاريخ العالم مثال لمشقات اليهود وشقاوتهم مدّة الحصار الذي انتهى بدمار المدينة وموت 1000000 من الشعب وذلك سنة70 ب.م واستمرّ العصيان مدّة ثلاث سنين بعد سقوط المدينة)[1].

وتذكر الأناجيل أن المسيح لمّا وُلد في بيت لحم اليهودية جاء مجوسٌ مِن المشرق إلى أورشليم ليسألوا عن المولود، جاء في إنجيل متى:(ولمّا وُلِد يسوعُ في بيت لحمِ اليهوديةِ، في أيّام هيرودس الملِكِ، إذا مجوسٌ مِن المشرق قد جاءُوا إلى أورشليمَ قائلينَ:" أين هو المولودُ ملِكُ اليهودِ؟ فإنّنا رأينا نجمَهُ في المشرِقِ وأتينا لنسجُدَ لهُ". فلمّا سمِعَ هيرودُسُ الملِكُ اضطربَ وجميعُ أورشليمُ

(١) قاموس الكتاب المقدس، ج1/ ص 165، 166 باختصار.

معهُ)[1]، كما تذكر أنّ مريم ويوسف النجّار أتيا إلى الهيكل في أورشليم لتأدية الطقوس الخاصّة بالمولود الذي هو المسيح، جاء في إنجيل لوقا عن المسيح وأمّه:(ولمّا تمّت أيّامُ تطهيرها، حسبَ شريعةِ مُوسَى، صعِدُوا بهِ إلى أورشليمَ ليُقدّموه للرّبِ، كما هو مكتوبٌ في ناموسِ الربّ: أنّ كل ذكرٍ فاتح رحمٍ يُدعَى قُدّوسًا للربِ. ولكي يُقدّموا ذبيحةً كما قيلَ في ناموسِ الرّبِ: زوجُ يمَامٍ أو فرخَي حمامٍ)[2]، كما ذكر نفس الإنجيل أنّ مريم ويوسف لمّا أكملا الطقوس عادا بالمولود إلى النّاصرة مدينتهم غير أن علاقة الصبي بأورشليم وهيكلها لم تزل موصولة، جاء في إنجيل لوقا:(ولمّا أكملوا كُلّ شيءٍ حَسَبَ ناموسِ الرّبِّ، رجعوا إلى الجليلِ إلى مدينتهمُ النَّاصرةِ.وكان الصبيُّ ينمو ويتقوى بالروحِ، مُمتلئًا حِكمَةً وكانت نعمةُ اللهِ عليهِ. وكانَ أبواهُ يذهبانِ كُلّ سنةٍ إلى أورشليمَ في عيدِ الفِصحِ. ولمّا كانت لهُ اثنتا عشرة سنةً صعدوا إلى أورشليم كعادةِ العِيدِ. وبعدما أكملوا الأيامَ بقيَ عند رجوعهما الصبيُّ يسُوعُ في أورشليمَ، ويُوسُف وأمّهُ لم يعلمَا. وإذ ظنّاهُ بين الرُّفقَةِ، ذهبا مسيرةَ يومٍ، وكَانَا يطلبانِهِ بين الأقرِباءِ والمعارِفِ. ولمّا لم يجِدَاهُ رجَعَا إلى أورشليمَ يطلبانِهِ. وبعدَ ثلاثةِ أيامٍ وجداهُ في الهيكَلِ، جالِسًا في وَسطِ المُعلّمِينَ يسمَعُهُم ويسألُهُم. وكُلُ الذينَ سمِعُوه بُهِتُوا مِن فهمِهِ وأجوبَتِهِ)[3].

وقد نصّت الأناجيل على أنّ المسيح أخذ على عاتقه تعليم النّاس وبذل الشفاء لهم مما لحق بهم من أمراضٍ وأسقام، ولم يأتِ ذِكرٌ لأورشليم إلا في نهاية

(١) مت 2: 1– 3.
(٢) لو2: 22– 24.
(٣) لو2: 39– 47.

رحلته، حيث أكمل مهمته بتطهير الهيكل، جاء في إنجيل متى:(ودخَلَ يسُوعُ إلى هيكَلِ اللهِ وأخرجَ جمِيعَ الذينَ كانُوا يبِيعُونَ ويشتَرُونَ فِي الهَيكَلِ، وقَلَبَ مَوائِدَ الصّيارِفَةِ وكراسيّ باعةِ الحَمَامِ وقالَ لهُم:" مكتُوبٌ: بيتِي بيتَ الصلاةِ يُدعَى. وأنتُم جعلتموه مغارةَ لُصُوصٍ!)(1)، وذكرت الأناجيل أنّ أهل أورشليم اتخذوا منه موقفًا مُعاديًا لمخالفته بدعوته دينهم حتى همّوا بقتله وأخبر هو بذلك، جاء في إنجيل متى بعد اعتراف بطرس بالمسيح:(مِن ذلكَ الوقتِ ابتدأَ يسُوعُ يُظهِرُ لتلاميذِهِ أنّه ينبغي أن يذهَبَ إلى أورشلِيمَ ويتألَّمَ كثيرًا مِن الشيوخِ ورؤسَاءِ الكهنةِ والكتبَةِ، ويُقتَلَ، وفي اليومِ الثالثِ يقُومَ)(2)، وجاء فيه أيضًا:(وفيما كَانَ يسُوعُ صَاعِدًا إلى أورشَلِيمَ أخَذَ الاثني عَشَرَ تلمِيذًا على انفرَادٍ في الطَّرِيقِ وقالَ لهُم:" هَا نَحنُ صَاعِدُونَ إلى أُورُشَلِيمَ، وابنُ الإنسانِ يُسلَّمُ إلى رؤسَاءِ الكهنَةِ والكَتَبَةِ، فيحكُمُونَ عليهِ بالموتِ، ويُسلِّمُونَهُ إلى الأمَمِ لكَي يهزأُو بهِ ويجلِدُوهُ ويَصلِبُوهُ، وفي اليومِ الثالثِ يقُومُ")(3)، ونظرًا لحال أهل أورشليم وما جابهوا به رسل الله فقد ذكرت الأناجيل أنّ المسيح رثى أورشليم وبكى حالها وما ستؤول إليه بعد رفعه، جاء في إنجيل متى على لسان المسيح:(يا أورُشليمُ، يا أورُشلِيمُ، يا قاتلَةَ الأنبياءِ ورَاجِمَةَ المُرسَلِينَ إليهَا، كم مرّة أردتُ أن أجمَعَ أولادَكِ كَمَا تجمَعُ الدّجاجَةُ فِرَاخَهَا تَحتَ جَنَاحَيهَا، ولَم تُرِيدُوا! هُوَذا بَيتُكُم يُترَكُ لكُم خَرَابًا. لأنّي أقُولُ لكم: إنّكُم لا ترونَنِي

(١) مت 21: 12– 13. و مر 11: 15– 17، و لو19: 45– – 46.
(٢) مت 16: 21. و مر 9: 30– 32، و لو 18: 31– 33، و يو12: 20– 36.
(٣) مت 20: 17– 19.

مِن الآنَ حتى تقُولوا: مُبَارَكٌ الآتِي بِاسمِ الرَّبِّ)[1]، ويمكن لقارئ هذه النّصوص أن يلحظ أنّ أهل أورشليم لم يرفضوا المسيح الإله ولا الذي به بعض الألوهية، وأنّ المسيح لم يدعهم إلى شيءٍ مِن هذا، وإنّما رفضوا المسيح الذي هو مِن عداد الأنبياء والمرسلين، والذي حزن على أورشليم التي رفضته كما رفضت غيره ممن سبقه مِن الأنبياء.

وهكذا تبيّن من خلال أحاديث الأناجيل عن أورشليم أنّها كانت مركزًا للعبادة وأنّ المسيح كان ذو علاقةٍ وطيدةٍ بها منذ نعومة أظافره، وبالتالي تكون رؤية أهل أورشليم للمسيح ذات اعتبارٍ شديدٍ لمعرفتهم بالدّين ولكونهم أهل المكان الذي يؤمُهُ النّاس من كل صوبٍ وحدبٍ لأداء النُسُك، وليس الحديث ههنا عن مدى صحة شعائر اليهودية مِن عدمه، ولكن دعوة المسيح لهم ورفضهم له لم يكن إلا على أساس النبوة والرسالة، حيث لم يرفض أهل أورشليم المسيح الإله ولم يرونه كذلك بل كانوا يعدونه نبياً من أنبياء الله– عز وجل– كما كان سائر أهل زمانه يرونه كذلك، جاء في إنجيل متى عن المسيح:(ولمّا دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلةً:" مَن هذا؟". فقالت الجموع:" هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل")[2]، وبيّن إنجيل يوحنا رؤية أهل أورشليم للمسيح بصورةٍ أوضح حيث جاء فيه عن المسيح:(ولمّا كانَ إخوتُهُ قد صعِدُوا، حينئذٍ صَعِدَ هُوَ أيضًا إلى العِيدِ، لا ظاهِرًا بَل كأنّهُ في الخَفاءِ. فكانَ اليهُودُ يطلُبُونَهُ في العِيدِ، ويقُولُونَ:" أينَ ذاكَ؟". وكانَ في الجُمُوعِ مُنَاجاةٌ كثيرَةٌ مِن نحوِهِ. بعضُهُم يقُولُونَ:" إنّهُ صَالِحٌ".

(١) مت 23: 37– 39.

(٢) مت 21: 10– 11.

وآخرون يقولونَ:" لا، بل يُضِلُ الشّعبَ". ولكِن لم يكُن أحَدٌ يتكَلّمُ عنهُ جِهَارًا لسببِ الخَوفِ مِن اليهُودِ. ولمّا كانَ العِيدُ قد انتصَفَ، صعَدَ يسُوعُ إلى الهَيكَلِ، وكَانَ يُعلّمُ. فتعجّبَ اليهُودُ قائلِينَ:" كيفَ هذا يعرِفُ الكُتُبَ، وهُوَ لم يتعلّمُ؟". أجَابَهُم يسُوعُ وقَالَ:" تعلِيمِي ليسَ لي بل لِلذِي أرسلَنِي. إن شَاءَ أحَدٌ أن يعمَلَ مشيئتَهُ يعرِفُ التعليمَ، هل هو مِن اللهِ، أم أتكلّمُ أنَا مِن نفسِي. مَن يتكَلّمُ مِن نفسِهِ يطلُبُ مجدَ نفسِهِ، وأمّا مَن يطلُبُ مَجدَ الذي أرسَلَهُ فهُو صادِقٌ وليسَ فيهِ ظُلمٌ. أليسَ مُوسَى قد أعطَاكُم النّاموسَ! لِمَاذَا تطلُبُونَ أن تقتلونِي؟" أجَابَ الجَمعُ وقالُوا: بِكَ شَيطَانٌ. مَن يطلُبُ أن يقتُلَكَ؟". أجَابَ يسُوعُ وقَالَ لهُم:" عَمَلًا واحِدًا عَمِلتُ فتتعجّبُونَ جميعًا. لهَذا أعطَاكُم موسَى الخِتَانَ، ليسَ أنّهُ مِن مُوسَى، بل مِن الآباءِ. ففي السبتِ تختِنُونَ الإنسَانَ. فإن كانَ الإنسانُ يقبَلُ الخِتَانَ في السبتِ، لئلَا يُنقَضَ نَامُوسُ مُوسَى، أفتسخَطُونَ عليّ لأنّي شفيتُ إنسَانًا كُلّهُ في السبتِ؟ لا تحكمُوا حَسَبَ الظّاهِرِ بل احكمُوا حُكمًا عَادِلًا". فقَالَ قومٌ مِن أهلِ أورُشَلِيمَ:" أليسَ هذَا هُو الذِي يطلُبُونَ أن يقتُلُوهُ؟ وهَا هُو يتكلّمُ جِهَارًا ولا يقُولونَ له شيئًا! ألعَلّ الرؤسَاءَ عَرَفُوا يقِينًا أنّ هذا هو المسِيحُ حقًّا؟ ولكِنَّ هذا نعلَمُ مِن أينَ هُو، وأمّا المسيحُ فمتى جاءَ لا يعرِفُ أحَدٌ مِن أينَ هُوَ". فنَادَى يسُوعُ وهُوَ يُعلّمُ في الهيكَلِ قائلًا:" تعرِفُونَنِي وتعرِفُونَ مِن أينَ أنَا، ومِن نفسِي لم آتِ، بل الذِي أرسلَنِي هو حقٌ، الذِي أنتُم لستُم تعرِفُونَهُ. أنّا أعرِفُهُ لأنّي مِنهُ، وهُوَ أرسَلَنِي". فطَلَبُوا أن يُمسِكُوهُ، ولم يُلقِ أحَدٌ يَدًا عليهِ، لأنّ ساعتَهُ لم تكُن قد جاءَت بعدُ. فآمَنَ بهِ كثِيرُونَ مِن الجمعِ، وقَالُوا:" ألعَلّ المسِيحَ متى جاءَ يعمَلُ آيَاتٍ أكثَرَ مِن هذِهِ التي

عمِلَهَا هذَا؟")[1]، وقد آثرتُ نقل النّص السابق بأكملِه بلا تصرُفٍ أو اختصارٍ لِما فيه مِن أمورٍ لا تستقيمُ معها المكابرة والعناد إذ هي واضحة وضوح الشمس، أوّلها: أنّ اليهُودَ الذين هم أصحَابُ معرفةٍ بالكُتُبِ والرُسلِ لم يتعجبوا مِن كون المسيح إلهًا! ولا مِن كونِه صاحب لاهوتٍ! بل لأنّه عرفَ الكُتُب والشرائع وهو لم يتعلّم!. ثانيها: إجابة المسيح الواضحة والتي قال فيها: (تعلِيمِي ليسَ لي بل لِلذِي أرسلَنِي) فقد حاول بتعليمه إثبات النبوة والرسالة، وما حاول أن يثبتَ شيئًا زائدًا، وعلى الرغم مما لحق بالأناجيل من تحريفٍ وتبديلٍ وزيادةٍ ونقصان فإنها عجزت أن تضع على لسانِ المسيح ما يدّعي به الألوهية المزعومة. ثالثها: خلافُ اليهود مع المسيح كان فقط لأنّه نقض تعاليم السبت وشفى مريضًا في ذلك اليوم المُقدّس، وحينها قارن المسيحُ نفسه بموسى–عليه السلام–، وأعمَلَ القياس على تعاليمه، وهذا يُدلل على أنّه– عليه السلام– كان يرى نفسه بشرًا رسولًا مُكمّلًا لطريق الأنبياء، وهكذا كان يراهُ جميع مَن صدّقهُ وآمَنَ به. رابعها: قال يوحنّا:(فنَادَى يسُوعُ وهُوَ يُعلّمُ في الهيكَلِ قائلًا: تعرِفُونَنِي وتعرِفُونَ مِن أينَ أنَا، ومِن نفسِي لم آتِ، بل الذِي أرسلَنِي هو حقٌ، الذِي أنتُم لستُم تعرِفُونَهُ. أنَا أعرِفُهُ لأنّي مِنهُ، وهُوَ أرسَلَنِي) وهذا نصٌّ صريحٌ وواضحٌ يبين أنّ المسيح أقر بأنّه ما جاء ليُعرّف النّاس بنفسِهِ فهو معروفٌ لدى الجميع بأنّه مجرد بشر، ولو كان في الأمر مزيد على ذلك لعرّفه المسيح للجمع الذين لم يعرفوا ولم ينظروا للمسيح قط أنّه إله أو به شبهة ألوهية، ما جاء المسيح إلا ليُعرّف قومه بالله –عز وجل– الذي جهلوه وانحرفوا عن طريقه. آخرها: وهو بيت القصيد، أنّ أهل أورُشلِيم قد بدت

---

(١) يو 7: 10– 31.

رؤيتهم للمسيح واضحة حيث كانُوا يتناجون حول المسيح: هل هو صالح؟ أم يريد أن يفسد الشعب؟ وما ترددوا: هل هو بشر؟ أم جزءٌ مِن إله؟ أم به شيءٌ مِن الألوهية؟! وتعجّبَ قومٌ منهم لجرأتِهِ ومجابهته اليهود في هيكلهم وعِيدِهم، كما تعجّبوا مِن معجزاتِه، ولمّا آمنوا به لم يؤمنُوا إلا بالمسيح، المسيح فحسب، والذي تشكلت حقيقته مِن خلال حديثه عن نفسه في هذا النّص، وتشكلت أيضًا مِن خلال رؤية اليهود وأهل أورُشليم له.

وهكذا لم يكن أهل زمان المسيح يشبهونه بأكثر من يوحنا المعمدان أو إيليا، جاء في إنجيل مرقس:(فسمع هيرودُس الملِك، لأن اسمه سار مشهوراً. وقال: إنّ يوحنا المعمدان قام مِن الأموات ولذلك تُعمَل به القوات. قال آخرون: إنه إيليّا. وقال آخرون: إنه نبي أو كأحد الأنبياء. ولكن لمّا سمع هيرودُس قال: هذا هو يوحنا الذي قطعتُ أنا رأسه. إنه قام مِن الأموات!)[1]، وقد ذكر نفس الواقعة متى في إنجيله[2] وكذا لوقا[3]، وجاء في إنجيل متى:(ولمّا جاء يسوع إلى نواحي قيصرية فيلُبُس سأل تلاميذه قائلاً: مَن يقول الناس إني أنا ابن الإنسان؟. فقالوا:قومٌ يوحنا المَعمدان، وآخرون: إيليّا، وآخرون: إرميا أو واحدٌ مِن الأنبياء)[4]، وتكرر ذِكر نفس الواقعة في إنجيل مرقس[5] وفي إنجيل لوقا[1]،

---

(١) مر 6: 14– 16.
(٢) مت 14: 1– 2.
(٣) لو 9: 7– 9.
(٤) مت 16: 13– 14.
(٥) مر 8: 27– 30.

وعندما أتى يوحنا في إنجيله على ذكر معجزة إشباع الخمسة آلاف رجل بالقليل من الخبز وذكر رد فعل عامّة الناس حينما آمنوا قال:(فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا:إنّ هذا هو بالحقيقة النبيّ الآتي إلى العالَم)[2]، فينص يوحنا على أنّ هؤلاء جمعٌ يتجاوز الخمسة آلاف، وأنهم جميعاً بلا مخالف كانوا يرونه نبياً وهكذا آمنوا به لما بدت لهم معجزته، وأنّ المسيح أقرهم على ذلك دون أن يعترض على نبوةٍ أو يُضيف بنوةً، ولا يُعقل أن يُقر المسيح أمراً يخالف صُلب العقيدة أو يكتم أمراً من أخطر الأمور في ظل وجود كل هذا العدد مِن الناس والتلاميذ وغيرهم، وقد امتد هذا الاعتقاد مِن سائر الناس حتى لحظات المسيح الأخيرة بحسب الأناجيل، جاء في إنجيل لوقا عن واقعة الصلب المزعزم:(فلما رأى قائد المئة ما كان، مجّد الله قائلاً:بالحقيقة كان هذا الإنسانُ بارّاً)[3].

وبعد وضوح رؤية عامّة أهل زمان المسيح له–عليه السلام– يتبيّن أنّ مَن تشكك في أمره مِن هؤلاء المعاصرين لم يخرج بشكه إلى دائرة الألوهية ولا إلى أبعد من دائرة الإنسانية والنبوة والتي هي أبعد ما تكون عن مقام الألوهية.

---

(١) لو **9**: **18**– **19**.

(٢) يو **6** : **14**.

(٣) لو **23**: **47**.

الفصل الثالث

المسيح في عيون المخالفين له بحسب الأناجيل.

وفيه مبحثان

المبحث الأول: المسيح في عيون الهيرودُسيين والفريسيين والكتبة والصدوقيين.

المبحث الثاني: المسيح في عيون كهنة اليهود.

مدخل

لم تتوقف الأناجيل عند ذِكر المقربين مِن المسيح- عليه السلام- وعشيرته وقاطني المناطق التي تنتقّل بينها وعاش فيها واطّلع أهلها على حقيقته، بل نقلت الأناجيل جانبًا كبيرًا مِن الصراع الذي دار بينه- عليه السلام- وبين

اليهود بفرقهم المختلفة هيرودُسيين كانوا أو فريسيين أو صدوقيين أو كهنة، ورؤيتهم له، وكذا رؤية بعض مَن لم يؤمنوا به وخالفوه في المعتقد.

وقد أتت الأناجيل على جانبٍ كبير مِن نقاط الاختلاف التي اتخذ المخالفون بسببها اتجاهًا مخالفًا للمسيح، وربما ناصبوه العداء بسببها، ويأتي هذا الفصل ليُتمّم الصورة التي سبق وأن اتضح جزءٌ كبير منها فيما يتعلق برؤية مَن عاصروا المسيح لطبيعته ودعوته، ولم يتبق للبحث سوى أن ينقل رؤية المخالفين للمسيح، رؤيتهم لطبيعته وحقيقة دعوته، وهل كان خلافهم معه واعتزال بعضهم لدعوته ووقوف البعض ضده وإلصاق التُهم به وعزمهم قتله بسبب مخالفته شريعة موسى– عليه السلام–؟ أم بسبب ادّعائه الألوهية؟ أم لأسبابٍ أخرى؟ كل ذلك بحسب الأناجيل لا بما جاء في القرآن الكريم أو في السُنّة النبوية، بل بما يؤمن به النّصارى و يتفقون على قدسيته.

المبحث الأول
المسيح في عيون الهيرودُسيين والفريسيين والكتبة والصدوقيين

انقسمت اليهودية بعد سيدنا موسى– عليه السلام– إلى طوائف مختلفة وفرق متناحرة، منها ما وُجِد لأسبابٍ عقائديّة، ومنها ما وُجِد لأسبابٍ سياسيّة، وقد استمر وجود الكثير منها حتى زمن المسيح– عليه السلام–، وكان لها موقفٌ واضحٌ من المسيح، وكانت لها رؤية واضحة كذلك لطبيعته ولشخصه ولدعوته، وكان مِن أهم تلك الفِرق التي كانت ذات تأثيرٍ في حياة المسيح واحتكاكٍ مباشرٍ به الهيرودُسيين والفريسيين والكتبة والصدوقيين.

أمّا الهيرودسيون: فقد جاء عنهم في قاموس الكتاب المقدس:(حزب يهودي سياسي من الذين مالوا إلى هيرودس والامبراطور الرومانيّ وكانوا مضادين للفريسيين وربما اعتبر بعضهم هيرودس كالمسيح غير أنهم اتحدوا مع الفريسيين ضد المسيح (مت22: 16 ومر3: 6) ويُرجّح أنهم المعنيّون ب"خمير هيرودس"(مر8: 15))[1]، ويقول النّص الأول الذي استشهد به صاحب القاموس على اتحاد الهيروديسيين مع الفريسيين ضد المسيح:(حينئذٍ ذهب الفريسيونَ وتشاوروا لكي يصطادوهُ بكلمَةٍ. فأرسَلُوا إليهِ تلاميذَهُم مع الهيروديسيين قائلينَ: يا مُعلّمُ، نعلمُ أنّكَ صادِقٌ وتُعلّمُ طريقَ اللهِ بالحقِ، ولا تُبَالِي بأحدٍ، لأنّكَ لا تنظُرُ إلى وجُوهِ النّاسِ)[2]، ويقول النّص الآخَر:(فخرجَ الفرِيسيُّونَ للوقتِ مع الهيرودُسيين وتشاوروا عليه لكي يُهلِكُوهُ)[3]، ويقول النّص الذي رجّح صاحب القاموس أن يكون الهيرودسيون معنيون به في إنجيل مرقس على لسان المسيح:(

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، ج2/ ص462.
(٢) مت 22: 15– 16.
(٣) مر 3: 6.

وأوصاهُم قائِلًا: انظُرُوا! وتحرّزُوا مِن خَمِيرِ الفريسيين وخمِيرِ هِيرودس)[1].

وأمّا الفريسيون: فقد جاء عنهم في القاموس:(فئة مِن فئات اليهود... يُرجّح أنّ الفريسيين كانوا خلفاء الفئة الحسيديّة (القدّيسين)... وإذ اجتهدت الدولة الرومانية في تلك الأيام أن تُوحّد الشعوب التي تحت سلطتها قام حزب مِن اليهود لمقاومتها في ذلك وكان الفريسيون رؤساء ذلك الحزب والمرجّح أن هذا كان سببًا لسطوتهم ونفوذهم على الشعب. وعندما تبوأ هيرودس العرش رفض 6000 آلاف من الفريسيين أن يتعهدوا بالخضوع له فعاقبهم بيد قوية. وبعد أيام المسيح ترأس الفريسيون على الحزب المضاد للرومانيين فعصا الشعب فسياسيانوس وتيطس ابنه وكان ما كان من تشتت شملهم وتفرق من بقي منهم في كل المسكونة. وكان الفريسيون قادة الشعب في أمر الديانة وكانوا يضادون الصدوقيين. أما ديانتهم في أيام المسيح فكانت قد صارت رياءً وكثر اعتبارهم للأمور الخارجية دون روح التقوى الحقيقية. واختلفت آراء الفريسيين في اعتقادهم بخلود النفس والجزاء والعقاب وعناية الله المعارضة لإرادة الإنسان الحرة. وقالوا بوجود تقليد سماعي عن موسى تناقلهُ الخلف عن السلف وزعموا أنّهُ معادل لشريعتِه المكتوبة سلطة أو أهمّ منها. وقد وبّخهم ربنا بنوع خصوصي على هذا التعليم الأخير وأنذرهم بعقاب الله لهم عليهِ وذلك لأن موسى كان قد أعطاهم ذلك التعليم السماعيّ فإنما أعطاهم إياه ليرشدهم إلى معنى الوصايا المكتوبة لا إلى أن يعظموا التقليد أكثر من الناموس وإذ اشتغلوا بهذا التقليد أضاعوا روح الناموس، ومع أنه وُجد بينهم بعض العقلاء النبلاء كنيقوديموس ويوسف من الرامة وغمالائيل اشتهر أكثرهم

---

(١) مر 8: 15.

بالعُجب بالذات والعنفوان والرياء وكانوا يعشّرون النعنع والشبت والكمون ويتركون الحق والرحمة والإيمان (مت23: 23 ولو18: 11و 12) بل كانوا يتجنبون ظاهرًا كل ما حُسب نجسًا حسب الشريعة. إلَّا أنهم لم يتجنبوا نجاسة القلب الخبيث (مت15: 11- 20) وعلى قدر ما تشاغلوا عن الأمور الجوهرية اشتغلوا بالأبحاث العرضية وحمّلوا الشعب من أثقالها الشديدة كالبحث عن نوع الفتيلة التي يجب استعمالها لسراج السبت وعن جواز أكل بيضةٍ باضتها الدجاجة يوم السبت وهلّم جرّا)[1].

وقد جاءت الأناجيل على ذِكر أحوال هؤلاء الفريسيين ووعيد المسيح المتكرر لهم كقوله:(لكِن ويلٌ لكم أيُّها الكتبةُ والفريسيون المُراؤونَ! لأنّكم تُغلقونَ مَلَكُوتَ السماوات قُدّامَ النّاسِ، فلا تدخلونَ أنتم ولا تدعونَ الدّاخِلِينَ يدخلونَ. ويلٌ لكم أيّها الكتبة والفريسيون المُراؤُونَ! لأنّكُم تأكُلُونَ بُيُوتَ الأرامِلِ، ولعلةٍ تُطيلُونَ صلواتكم. لذلك تأخذونَ دينونةً أعظم. ويلٌ لكم أيّها الكتبة والفريسيون المُراؤُون! لأنّكم تطوفونَ البحر والبر لتكسبُوا دخِيلًا واحِدًا، ومتى حصل تصنعونه ابنًا لجهنّم أكثر منكم مضاعفًا! ويل لكم أيها القادة العُميانُ! القائلونَ: مَن حلف بالهيكلِ فليسَ بشيءٍ، ولكن مَن حلف بذهب الهيكل يلتزم... ويلٌ لكم أيُّهَا الكتبة والفريسيون المراؤون! لأنّكم تُعشّرون النَّعنَع والشّبِثَّ والكَمّونَ، وتركتم أثقل النّاموسِ: الحقّ والرحمةَ والإيمانَ. كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تَترُكُوا تلكَ. أيّها القادة العُميان! الذين يُصفّون عن البعوضة ويبلعونَ الجمَلَ. ويلٌ لكم أيها الكتبةُ والفريسيونَ المُراؤونَ! لأنكم تُنقّونَ خارجَ الكأسِ والصّحفةِ،

(١) قاموس الكتاب المقدس، ج2/ ص154، 155 باختصار.

وهُما من داخلٍ مملوآنِ اختطافًا ودعارَةً. أيّها الفريسيّ الأعمى! نقي أولًا داخل الكأس والصحفةِ لكي يكونَ خارجهما أيضًا نقيًّا. ويلٌ لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤونَ! لأنكم تشبهُونَ قبورًا مُبيّضَةً تَظهَر مِن خارجٍ جَمِيلةً، وهي مِن داخل مملوءةٌ عظام أمواتٍ وكُل نجاسة)[1] إلى آخر هذه التوبيخات التي جابَه بها المسيح الفريسيين، والملاحظ في نصوص الأناجيل التي أتت على ذكر الفريسيين أنها كثيرًا ما كانت تقرنهم بالكتبة.

وأما الكتبة: هم الذين كانوا يقومون على كتابة الكتب المقدسة ونسخها، وقد كانت هذه المهنة مِن المهن المُحترمة وكان أربابها على قدرٍ كبيرٍ من التوقير والإجلال لعلمهم بالنّصوص المقدسة واشتغالهم بها، جاء عنهم في القاموس:(أما كتبة العهد الجديد فيُقرن اسمهم غالبًا باسم الفريسيين وكانت وظيفتهم أن ينسخوا الكتاب المقدس فأصبحوا أعلم بأحكامِه ممن سواهم ولذلك كانوا يُحسبون من المعلمين فيهِ ولم يكن يُؤذنُ لأحدٍ أن ينتظم في مصافّ الكُتّاب إلا بعد الفحص المدقّق وأول ما عرفت طبقة الكتاب وتميزت مدة السبي وكان عزرا أولهم وأنموذجهم... وكانت هذه الصناعة مكرمة غير أنهُ لما طالت بأهلها المدة بعد انقطاع الوحي اليهودي وتدوين الأسفار القانونية أبطل هؤلاء الكتبة كلمة الله بتقاليدهم (مر7: 13) ويظهر أنهم كانوا من أعضاء المجمع الأعظم (مت26: 3) ومن أقران رؤساء الكهنة (مت21: 15) ومع أن المسيح كشف عن أعمال بعضهم (مت23: 1– 33) فكانوا لذلك ألد أعدائهِ (لو5: 30 و 6: 7) فمع ذلك هو ذاته شهد بأن البعض منهم كانوا مرسلين من الله (مت 23: 34)

(١) مت 23: 13– 16، و 23– 27.

ومتعلمين في ملكوت السماوات (مت13: 52))[1].

فالكتبة في الأصل ورّاقون إلا أنهم قد اكتسبوا قدسيةً أُلصِقَت بهم لأجل قداسة ما يكتبون، وهم مع ذلك لم يحفظوا هذه القدسية بل انخرطوا فيما انخرط فيه سائر بني إسرائيل مِن رذائل ومغريات وبّخهم لأجلها المسيح– عليه السلام– وكثيرًا ما كان يقرنهم في توبيخه بالفريسيين، حتى اتهمهم بإبطال تعاليم موسى– عليه السلام– حيث قال لهم وللفريسيين:(وأما أنتم فتقولون: إن قال إنسانٌ لأبيهِ أو أمّهِ: قربانٌ، أي هديّةٌ، هو الذي تنتفع به مني فلا تدَعُونَهُ في ما بعدُ يفعَلُ شيئًا لأبيه أو أمّه. مُبطِلِينَ كلامَ اللهِ بتقليدكم الذي سلّمتُمُوهُ. وأُمُورًا كثيرةً مِثل هذه تفعلونَ)[2]، ولشدة توبيخ المسيح لهم فقد وقفوا ضد أفعاله وكانوا يتربصون بكلماته، جاء في إنجيل لوقا:(فتذمّر كتبَتُهُم والفريسيون على تلاميذِهِ قائلينَ: لمَاذا تأكُلُونَ وتشربُونَ مع عشّارين وخُطاةٍ؟)[3]، ووصل الحال بهم إلى أن اتفقوا مع رؤساء الكهنة وقادة الشعب على التآمر ضده والكيد لقتله– عليه السلام– جاء في إنجيل متى عن تلك المؤامرة:(حينئذٍ اجتمع رؤساءُ الكهنةِ وشُيُوخُ الشّعبِ إلى دارِ رئيسِ الكهنةِ الذي يُدعَى قيافا، وتشاوروا لكي يُمسِكُوا يسوعَ بمكرٍ ويقتلُوهُ)[4].

وقد نقلت الأناجيل أنّ المسيح لم يكن يُكذّب الفريسيين والكتبة في

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، ج2/ ص239 باختصار.
(٢) مر 7: 11– 13.
(٣) لو 5: 30.
(٤) مت 26: 3– 4.

كل ما يقولون، بل كان– عليه السلام– يتعامل معهم بحيادةٍ تامّة ويجعل الفيصل بينهم وبينه أحكام النّاموس وروحِ ما به مِن نصوص، حيث نقلت عنه أنّه أيّد أقوال الكتبة والفريسيين وأمر النّاس باتباع أقوالهم ولكنّه حذّر من اتباع أفعالهم لأنّ أفعالهم تخالف أقوالهم، جاء في إنجيل متى:(حِينئذٍ خَاطَبَ يَسُوعُ الجُمُوعَ وتَلامِيذَهُ قائلًا: " على كُرسيّ مُوسَى جلسَ الكَتَبَةُ والفرِيسيُّونَ، فكلُّ ما قَالُوا لَكُم أن تحفظُوهُ فاحفَظُوهُ وافعلوهُ، ولكِن حسَبَ أعمَالِهِم لا تعمَلُوا، لأنّهم يقولونَ ولا يفعلُونَ. فإنّهم يحزمونَ أحمالًا ثقيلةً عَسِرَةَ الحَملِ ويَضعُونَهَا على أكتافِ النّاسِ، وهُم لا يُرِيدُونَ أن يُحرّكُوهَا بإصبعِهِم)[1].

وأمّا الصدوقيون: فعلى الرغم من أنهم من أشرف طوائف اليهودية مكانةً إلا أنهم لم يكونوا أصحاب سطوة ومكانة بين اليهود، حيث كانت علاقتهم بالدين ضعيفة وكان تركيزهم على التجارة والفلسفة، جاء عنهم في القاموس:(طائفة من اليهود كثر ذِكرها في العهد الجديد. أما اشتقاق هذا الاسم ومعناهُ فمتوغلان في الإبهام غير أن الرأي الأقوى هو أنّ الصدوقيين تَسللوا من صادوق وأنهم سلالة كهنوتية شريفة(أ ع 5: 17) أما صادوق المذكور فكان رئيس كهنة شهير عيّنهُ سليمان عوضًا عن أبياثار بعد عزلهِ (1مل2: 35) وكان الصدوقيون طائفة صغيرة سطوتهم قليلة بين الشعب وكان لهم ميل شديد إلى الفلسفة. وكانوا ذوي تجلة وعلى الغالب أغنياء. وكانت أفكارهم دنيوية وكان اعتبارهم للدين اعتبارًا سطحيًّا. وكان لاهوتهم مضادًا للاهوت الفريسيين ولم يمتد كثيرًا بين العوام لغوصهِ في الآراء الفلسفية. واشتمل على أربعة آراء رئيسة: 1– إنكار إلهام الناموس السماعي وهو

---

(١) مت 23: 1– 4.

تفسير الناموس المكتوب الذي زعم الفريسيون بأنه مأخوذ بالتقليد عن موسى ذاته.

2- قبول تعليم موسى فقط. ويظهر أنهم رفضوا أسفار العهد القديم ما عدا أسفار موسى.

3- إنكار قيامة الأموات. أي اعتقدوا أن النفس تموت مع الجسد(مت22: 23) وإذ رفضوا تعليم القيامة سقط عندهم تعليم الثواب والعقاب والاعتقاد بالملائكة والأرواح(أع 23: 8).

4- وجود الحرّيّة المطلقة للإنسان يتوقف عليها صفاتُ أعمالِه الأدبية. وكانوا يبالغون بهذا التعليم بحيث كادوا ينكرون حكم الله بالعناية في العالم. ولم يندد المسيح بالصدوقيين قدر ما ندد بالفريسيين إلّا أنهم كانوا يضادونهُ مضادّة شديدة فوافقوهم في الشكوى عليه والحكم بصلبه وكان حنانيا وقيافا صدوقيَّين. وقد اختفت هذه الطائفة من صفحات التاريخ في القرن الثاني المسيحيّ غير أن الذين يدّعون الديانة حال كونهم عالميين سواءَ كانوا من ذلك العصر أو من غيرِهِ هم صدوقيون فعلًا)[1].

وهكذا عاند الهيرُدسيون والفريسيون والصدوقيون والكتبة المسيح- عليه السلام-، وفي سائر ما روته الأناجيل عنهم مِن أحوالٍ وأقوالٍ وكيدٍ للمسيح فإنهم لم يكونوا يرون أنهم يختلفون مع إلهٍ لأنه- عليه السلام- لم يدّعي الألوهية أصلًا، ولم يَدعُ-عليه السلام- هؤلاء ولا غيرهم لعبادته ولا للاعتراف بألوهيته ولا بلاهوته، هذا ما نقلته الأناجيل، جاء في إنجيل متى عن المسيح:(فالفريسيُّونَ لمّا

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، ج2/ ص3، 4.

نظرُوا قالوا له: هوذا تلاميذك يفعلونَ ما لا يحل فعله في السبت. فقال لهم: أما قرأتم ما فعله داود حين جاعَ هو والذينَ معَهُ)[1]، ليست مجادلة الفريسيين فقط بل كل مجادلة في الأناجيل بين المسيح وبين مَن اختلف معه مِن اليهود إنما كان محورها ما خالف به المسيح شريعة موسى وأحكام الأسفار، ولم يكن محورها لاهوت ولا ناسوت ولا أقانيم![2].

وهكذا قطعت الأناجيل بأنّ فرق اليهودية وسائر طوائفها– فضلًا عن عامة أهل ذلك الزمان– لم يكونوا يرون المسيح إلا بشرًا ادّعى النبوة ونسخ بعض تعاليم النّاموس وخالف جزءًا مِن شريعة موسى وأحكام الكهنة وهم يكذبونه في دعواه، جاء في إنجيل متى:(في ذلك اليوم جاء إليه صدوقيون، الذين يقولون ليس قيامة، فسألوه قائلين:" يا مُعلّم، قال موسى: إن مات أحدٌ وليس له أولاد، يتزوج أخوه بامرأته ويُقم نسلاً لأخيه)[3]، وجاء في إنجيل يوحنا:(كان إنسانٌ من الفريسيين اسمه نيقودِيموس، رئيسٌ لليهود. هذا جاء إلى يسوع ليلاً وقال له: يا مُعلّم، نعلمُ أنك قد أتيتَ مِن الله مُعلّماً، لأن ليس أحدٌ يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه)[4]، وجاء في إنجيل متى:(ولمّا سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله، عرفوا أنّه تكلم عليهم. وإذ كانوا يطلبون أن يُمسكوه،

---

(١) مت 12: 2– 3.

(٢) راجع في هذه المحاورات على سبيل المثال لا الحصر: مت12: 2– 15. و12: 38– 40 . ومت15: 1– 9. ومت16: 1– 4.

(٣) مت 22: 23– 24.

(٤) يو 3: 1– 2.

خافوا من الجموع، لأنه كان عندهم مثل نبي)[1]، وجاء في إنجيل متى:(أمّا الفريسيونَ فلمّا سَمِعُوا أنّهُ أبكَمَ الصدُوقيّين اجتمعُوا معًا، وسَألهُ واحِدٌ منهُم، وهُو نامُوسيّ، ليُجرّبهُ قائِلًا:" يا مُعلّمُ، أيّةُ وصيّةٍ هي العُظمَى فِي النّامُوسِ؟" فقالَ لهُ يسُوعُ:" تُحِبُّ الرّبَّ إلهك مِن كُلِّ قلبِكَ، ومِن كُل نفسِك، ومِن كُل فكرِكَ، هذهِ هي الوصيةُ الأولى والعُظمَى. والثانيةُ مِثلها: تُحِبُ قريبَكَ كنفسِكَ. بهاتَينِ الوصيتَينِ يتعلّقُ النّاموسُ كُلُهُ والأنبياءُ")[2]، فإذا كان المسيحُ يرى نفسه إلهًا أو جزءًا مِن إلهٍ فليس أعظم ولا أهم مِن ذلك ليوضحه للمخالفين، وما كان –عليه السلام– ليؤخّر أمرًا كهذا عمن جهله أو يكتمه فتقع الفتنة والاضطراب بسببه، فإن قال قائل: لم يتناوله لمعرفة التلاميذ به، نقول: سبق وأن أثبتنا أنّ التلاميذ لم يكونوا يرونه إلا بشرًا نبيًا، وما نقلت الأناجيل قط عنهم أنهم عبدوه مع الله، ولا أنّه دعاهم لعبادته، ولو سلّمنا بأنّه أمرٌ مشهورٌ عند التلاميذ فإنّ غيرهم من فريسيين وصدوقيين وكتبة وسائر المدعوين في أمس الحاجة لمثل هذا البيان ولو لمرةٍ واحدةٍ في الأناجيل وهو ما لم يحدث.

وجاء في إنجيل لوقا عن المرأة الخاطئة:(ووقفت عند قدمَيه مِن ورائِه باكيةً، وابتدأت تبُل قدمَيه بالدموع، وكانت تمسحهما بشعر رأسها، وتُقبّل قدمَيه وتدهنُهُما بالطيب. فلما رأى الفريسيّ الذي دعاه ذلك، تكلم في نفسه قائلاً:" لو كان هذا نبياً، لعلِم مِن هذه الامرأة التي تلمسُه وما هي! إنها خاطئة")[3]،

(١) مت 21: 45– 46.
(٢) مت 22: 34– 40.
(٣) لو 7: 38– 39.

فالمعروف أنه نبي، ولكن الفريسيّ تشكك في ذلك وربطه بعلمه– عليه السلام– بحال المرأة وأنها خاطئة، ولم يقل الفريسيّ: لو كان هذا إلهًا، أو : لو كان هذا ابنُ الله الأزليّ المستحق للتقديس! بل ربط عِلمه بالغيب بالنبوة فقط، وهذا العِلم ما أثبته الإنجيل في بقية القصة[1]، وبالتالي ثبت ما ترتب عليه وهو كونه– عليه السلام– نبي الله حقاً كما ادّعى لنفسِهِ وكما رآهُ المخالفون له فضلًا عن سائر أهل ذلك الزمان.

(١) لو **7**: **40– 50**.

المبحث الثاني

المسيح في عيون كهنة اليهود.

كانت الكهانة في اليهودية وظيفة دينية يتصدى لها مجموعة مُختارة يُطلَق عليهم لقب "كهنة"، وكان لهؤلاء الكهنة مكانة تفوق مكانة أي يهوديّ، حيث كانوا أرباب الهيكل وسدنته والقائمين عليه، وكان مُحرّمًا على غيرهم القيام بطقوس العبادة والهيكل، أو حتى مجرد الاقتراب من تابوت العهد.

ونظرًا لأهمية الكهنة في اليهودية ولمكانتهم كان مِن الأفضل تمييزهم عن غيرهم من خصوم المسيح ومخالفيه عند بيان رؤيتهم له– عليه السلام–، فهم أعلم اليهود بالكتب والتعاليم والنبوات، وأكثرهم اطّلاعًا على أمر الرسالات، فهل كان هؤلاء الكهنة ينظرون إلى المسيح نظرة الرجل صاحب اللاهوت والناسوت؟ أم كانوا يرونه صاحب أقنومٍ من الأقانيم؟ وحينما كذبوه وعاندوه هل كانوا يُكذّبون بشرًا يختلفون معه؟ أم كانوا يُكذّبون رجلًا يدّعي الألوهية فهم يُكذبون ألوهيته؟

وقبل البحث عن إجابات لهذه الأسئلة كان لا بُد من التعرف أولًا على هؤلاء الكهنة، حيث إنّ المتتبع لأسفار اليهود يجد أنّها كانت قبل موسى– عليه السلام– تعني به ذاك الرجل الذي يُقدّم الذبائح، وقد كان أي فردٍ يُقدّم الذبائح دون تعيين فردٍ بعينه، قبل أن تُسند هذه المهمة لرؤساء البيوت وقاداتها، وكان ذلك التقليد جاريًا حتى زمن موسى الذي كان أول مَن قام بتعيين أشخاصٍ للكهانة مِن ذرية هارون– عليه السلام– وتمّ حظر الكهانة على غيرهم بحسب الأسفار، (وكان جميع ذكور ذرية هرون كهنة لكن لا يكون إلا البكر كاهنًا عظيمًا وكذلك كان لا يجوز لأحدٍ فيه عيب من العيوب أن يتقدم ليقرب خبز إلهِهِ ولو كان من سلالة هرون... ثمّ إنّ الكاهن كان بعد أن يدخل في وظيفتِه تُفرض عليهِ في حياتِهِ ومعيشتهِ قوانين ما كانت تُفرض على غيره من اللاويين ولا من عوام الاسرائيليين

وكان عدد الكهنة في الأول قليلًا... إلا أنه بلغ في أيام داود مبلغًا عظيمًا فجاء إليه إلى حبرون 3700 كاهن... وكانت واجبات الكهنة الذبائح اليومية والأسبوعية والشهرية والسنوية. وعدا ذلك كانوا يخدمون في الاحتفالات والتطهير ويعتنون بالآنية المقدسة والنار المقدسة والمنارة الذهبية وأثاث المقدس. وكانوا يُصوتون بالأبواق المقدسة ويحملون تابوت العهد ويقضون في دعاوي الغيرة ويُقدّرون المال الافتداء وينظرون في شأن البرَص. وفوق ذلك كانوا يفسرون الناموس للشعب غير أنهم كثيرًا ما أهملوا هذه الواجبات... أمّا تقديس الكهنة فكان يحتفل به احتفالًا عظيمًا يدوم سبعة أيام... بالذبائح والاغتسال ولبس الثياب المقدسة ونضح الدم والدهن بزيت... وبعد ما تقلّد وظيفتهُ لم يكن يُسوغ لهُ أن يندب الميت أو يتنجس بمسِّه إلّا إذا كان من الأنسباء الأقرب إليهِ ولم يجز لهُ أن يحلق شعرهُ أو يجزّ لحيتهُ أو أن يتزوج بامرأَة مطلّقة. وبما أنّ وظيفتهُ كانت التقرب إلى الله بالنيابة عن الشعب كان مطلوبًا منه أن يبقى طاهرًا من الداخل والخارج. وقد خُصّصت بالكهنة ثلاث عشرة مدينة مع مسارحها في نصيب يهوذا وشمعون وبنيامين قيامًا بمعاشهم... وأُضيف إلى ذلك عشر الأعشار المدفوعة للاويين... وفداء الأبكار والرفائع... وقيمة الأشياء المنذورة... وباكورات المحصولات... وبعض غنيمة الحرب)[1].

الكهنة: أمّا الكهنة في زمن المسيح– عليه السلام– فإنّ الأناجيل توضّح أنّه لم يكن للمسيح احتكاك بهم إلا في صباه قبل أن يبدأ خدمته، وفي نهاية دعوته حينما توجّه إلى أورشليم، أمّا في صباه فيذكر لوقا في إنجيله أنّ المسيح في صباه

(١) قاموس الكتاب المقدس، ج2/ ص 271 وما بعدها باختصار.

وحين كان عمره اثنتا عشرة سنة مكث في الهيكل بعد إتمام طقوس عيد الفصح، وأنّ هذا كان أول احتكاك مباشر للمسيح بكهنة اليهود، جاء في إنجيل لوقا عن المسيح ومريم ويوسف النجار:(وبعد ثلاثة أيّامٍ وجدَاهُ في الهيكلِ، جالِسًا في وسطِ المُعلّمِينَ، يسمَعُهُم ويسألُهُم. وكُل الذينَ سمِعُوهُ بُهِتُوا مِن فهمِهِ وأجوبتِهِ)(1)، فقد كانت تفاصيل اللقاء أن سمع المسيح منهم وسألهم وبالتالي تعجبوا من محاورته لهم على صغر سنه، وليس فيما رأوه مِن أمر المسيح شيئًا يزيد على ما يعرفونه من نبوغ البعض وفطنتهم، ولم يكونوا يرون فيه لاهوتًا ولا أقنوميةً، ولو كانت جذور هذه الفلسفات قد وُجِدَت في أسفار اليهود – كما يدّعي علماء النّصارى عند تناولهم لها– لكان هؤلاء الكهنة والمعلمون أعلم النّاس بها!

وذَكَر يوحنا في إنجيله أنّ قادة اليهود وكهنتهم لم يؤمنوا بالمسيح، وبيّن أنّهم كانوا يرونه إنسانًا ويرفضون نبوته، ونصّ صراحةً على أنهم رفضوا أن يُوجَد نبي من الجليل، قال يوحنا:(فجَاءَ الخُدّامُ إلى رؤساءِ الكهنةِ والفريسيينَ. فقالَ هؤلاءِ لهُم: لِمَاذا لَم تأتُوا بهِ؟ أجابَ الخُدّامُ: لم يتكلّم قطُّ إنسَانٌ هكذا مِثلَ هذَا الإنسَانِ!. فأجابَهُم الفريسيونَ: ألعلكُم أنتم أيضًا قد ضللتُم؟ ألعلَّ أحدًا مِن الرؤساءِ أو مِن الفريسيين آمَن بهِ؟ ولكن هذا الشعبَ الذي لا يفهَمُ النّاموسَ هو ملعونٌ. قالَ لهُم نيقودِيموسُ، الذي جاءَ إليهِ ليلًا، وهُو واحِدٌ منهُم: ألعلَّ ناموسَنَا يدينُ إنسَانًا لم يسمَع منه أوّلًا ويعرِفُ ماذا فعَلَ؟. أجابُوا وقَالُوا لهُ: ألعلَّك أنتَ أيضًا مِن الجليلِ؟ فتّش وانظُر! إنّه لم يقُم نبيٌّ من الجليل. فمضى كُل واحِدٍ إلى

(١) لو 2: 46- 47.

بيتِهِ)[1]، فرؤساء الكهنة والفريسيون كانوا يُكذبونَ وجود نبي، ولم يُكذبوا لاهوتًا ولا أقنومَ بنوة ولا ابنًا أزليًا، ولم يذهب فكرهم إلى شيءٍ مِن ذلك؛ لأن المسيح لم يذكر شيئًا منه!.

وعندما دخل هيكلهم وعنّ لهم أن يسألوه ويستوضحوا منه ما سألوه عن شيءٍ من تلك الفلسفات، وما ناقشوه في طبيعته إذ هي نقطة اتفاقٍ عند سائر مَن يعرفونه، بل سألوه عن المعجزات التي جاء بها وعن مصدرها وكيف يأتي بها، جاء في إنجيل متى:(ولمّا جاءَ إلى الهيكلِ تقدّم إليهِ رؤساءُ الكهنةِ وشيوخُ الشعبِ وهو يُعلّمُ، قائلينَ: بأي سُلطانٍ تفعَلُ هذا؟ ومَن أعطاكَ هذا السُلطانَ؟)[2]، وفي نهاية دعوته وعند تآمر اليهود عليه نقلت الأناجيل عن المسيح أنّه واجه كهنة اليهود في أورشليم حيث الهيكل، قال يوحنا في إنجيله:(ثمّ إنّ الجُندَ والقائدَ وخُدّامَ اليهُودِ قبضُوا على يسوعَ وأوثقوهُ، ومضوا به إلى حنّان أوّلًا، لأنّه كان حمَا قيافا الذي كان رئيسًا للكهنةِ في تلك السنةِ. وكان قيافا هُو الذي أشارَ على اليهُودِ أنّهُ خَيرٌ أن يموتَ إنسانٌ واحِدٌ عن الشعبِ)[3]، إذًا هو عندهم إنسانٌ وحتى انقضاء دعوته كانوا يرونه إنسانًا يختلفون معه فقط في كونه نبيًا، ولم يكن خلافهم معه خلاف طبيعتين أو مشيئتين أو ما شابه ذلك، ولو كانوا يظنون للحظةٍ أنّه ابن الله الأزليّ المستحق للتقديس لمَا كانوا فكّروا في قتله، وهل يُقتَل مَن به لاهوت وناسوت؟! وما فائدة قتل الناسوت إذًا؟! وكيف يقدرون على قتل شخص

---

(١) يو 7: 45- 53.

(٢) مت 21: 23.

(٣) يو 18: 12- 14.

بتلك الصفات الإلهية؟! ووضّح يوحنا في إنجيله أنّ الخلاف بين المسيح واليهود كان موضوعه مخالفة المسيح لبعض تعاليم أسفار موسى كالعمل يوم السبت حيث قال:(ولهذَا كانَ اليهُودُ يطردُونَ يسُوعَ، ويطلُبُونَ أن يقتُلُوهُ، لأنّهُ عمِلَ هذا في السبتِ)[1].

وعندما نقلت الأناجيل تآمر اليهود وسائر أعداء المسيح عليه بيّنت أنهم ترددوا في القبض عليه وقرروا عدم التعرض له في العيد، ولم يكن السبب أنّهم خافوا مِن كونه ابن الله،أو من إلحاق لاهوته الضرر بهم، أو مِن غضب أقنوم البنوة، أو مِن سطوة الطبيعة الإلهية الموجودة فيه؛ لأنّ كل هذه التصورات لم تأت على لسان المسيح ولا على لسان واحدٍ من أتباعه ولا حتى مِن خصومه، بل خافوا مِن شغب الشعب لتأثير المسيح فيهم، جاء في إنجيل متى:(حينئذٍ اجتمَعَ رؤسَاءُ الكهنَةِ والكتبةِ وشيوخُ الشعبِ إلى دارِ رئيسِ الكهنةِ الذي يُدعَى قَيَافَا، وتشاوروا لكي يُمسكوا يسوعَ بمكرٍ ويقتلوهُ. ولكنّهم قالُوا: ليسَ في العِيدِ لئلا يكُونَ شَغَبٌ في الشعبِ)[2]، وجاء في إنجيل لوقا:(فطلبَ رؤساءُ الكهنةِ والكتبةُ أن يُلقُوا الأيادِي عليهِ في تلكَ السّاعةِ، ولكنّهُم خافُوا الشعبَ، لأنّهُم عَرَفُوا أنّهُ قالَ هذا المَثَلَ عليهِم)[3]، وفي نفس الإنجيل أيضًا:(وقَرُبَ عِيدُ الفَطيرِ، الذي يُقَالُ لهُ الفِصحُ. وكانَ رؤساءُ الكهنةِ والكتبةِ يطلُبُونَ كيفَ يقتلُونَهُ، لأنّهُم خافُوا

(١) يو 5: 16.
(٢) مت 26: 3- 4.
(٣) لو 20: 19.

الشعبَ)[1].

وبعد هذا البيان تكون قد اكتملت صورة المسيح عند سائر اليهود الذين لم يكن شكهم في شخصه يتناول لاهوتًا ولا أقنومًا، ولم يكن خلافهم معه يعدو خلافًا حول ما جاء به مِن أحكامٍ تنسخ بعض أحكام الأسفار التي ينسبونها إلى نبي الله موسى– عليه السلام–.

---

(١) لو 22: 1.

أ ـ نتائج البحث وأهم التوصيات.

بعد هذه الدرسة الموجزة لحقيقة المسيح –عليه السلام– كما كان يراها المُعاصرون له بحسب الأناجيل سواء كان هؤلاء المعاصرون مِن المقربين أو مِن الخصوم أو مِن عامّة أهل ذلك الزمن خرج البحث بجملةٍ مِن النتائج كان مِن أهمها:

1– صرّحت الأناجيل بأن المسيح أقر بأنّه ما جاء ليُعرّف النّاس بنفسِهِ، وإلا فهو معروفٌ لدى جميع أهل زمانه بأنّه مجرد بشر ادّعى النبوة والرسالة، وإنّما بُعث ليُعرّف النّاس طريق الله –عز وجل– الذي جهلوه وضلوا عنه، ولو كان في الأمر مزيد على ذلك لعرّفه المسيح للمعاصريه الذين لم ينظروا للمسيح قط على أنّه إله أو به شبهة ألوهية.

2– اتفقت كلمة المقربين من المسيح– عليه السلام– في الأناجيل على أنّه لا يعدو أن يكون بشرًا رسولًا، فيوحنا المعمدان كان ينظر إلى المسيح على أنه مجرد رسول من عند الله شأنه شأن السابقين عليه من أنبياء بني إسرائيل، وتلاميذه – عليه السلام– لم يرد عنهم في الأناجيل إلا أنهم كانوا يرونه إنساناً نبياً مِن أعظم الأنبياء مقتدرًا في الفعل والقول، وأهله كذلك كانوا يرونه فمريم الأم ويوسف النجار وسائر إخوة المسيح لم يكونوا يرونه إلا بشرًا رسولًا.

3– لم يثبت في الأناجيل ولا في غيرها عن المقربين من المسيح – ولا عن واحدٍ منهم– أنهم كان يرى في المسيح شيئاً زائدًا على النبوة، ولو كان ثبت ذلك لاحتفى النصارى بمثل هذه الشهادات ولاستغنوا بها عن التأويلات والاستنتاجات والتكهنات.

4- قطعت الأناجيل بأن المسيح كان يوجّه تلاميذه ليسألوا الله - جل وعلا- ويعبدوه- سبحانه- ويتوجهوا إليه- عز وجل- وما دعاهم قط لعبادته هو ولا للتوجه أوللتعبد أوللتذلل لشخصه -عليه السلام-، وما ورد في الأناجيل ولا في غيرها عن التلاميذ ولا عن واحدٍ منهم أنهم كانوا يُصلّون للمسيح أو يعبدونه أو يسبحونه، بل كانوا يسبحون الله- عز وجل- ويُصلّون لله وحده.

5- عاش المسيح في زمانٍ تميز بالتنوع والاختلاف الواسع مِن حيث العقائد والعرقيات والأجناس، ومثل تلك البيئة المتشعبة والمتداخلة لا يُمكن أن تتفق على أمرٍ يخالف العقل أو يضاده، وقد أثبتت الأناجيل أن أهل ذلك الزمان لم يكونوا يرون المسيح إلا مجرد بشرٍ عاديّ عاصروه طوال حياته فلم يروا فيه سوى البشرية الممتزجة ببعض المعجزات التي عهدوها في بعض مَن سبقه من الصالحين.

6- نصّت الأناجيل على أنّ أهل النّاصرة كانوا يرون المسيح بشرًا عاديًّا، كما نصّت على تعجبهم مِن معجزاته، ولو كان يدّعي الألوهية أو يتعالى عن البشرية لما كان لهؤلاء أن يتعجبوا، كما أكّدت الأناجيل على أنّه- عليه السلام- تحدث مع أهل النّاصرة عن نبوته ودعاهم إلى الله- عز وجل- وليس إلى أي شيء آخر.

7- كانت أورشليم على عهد المسيح مركزًا للعبادة وكان-عليه السلام- صاحب علاقةٍ وطيدةٍ بها منذ صغره، وبالتالي تكون رؤية أهل أورشليم للمسيح مختلفةً؛ لمعرفتهم بالنبوة والأنبياء، ومع هذا فقد رفض أهل أورشليم المسيح النبي الرسول، ولم يتعرضوا إلى شيءٍ من اللاهوتية؛ لأنّ المسيح لم يدعهم ولا غيرهم إلى شيءٍ مِن هذا، ونصّت الأناجيل صراحةً على أنّ المسيح حزن على أورشليم التي رفضته كما رفضت غيره ممن سبقه مِن الأنبياء.

8- اتخذ معظم اليهود موقفاً مُعاديًا للمسيح- عليه السلام- حيث اعترض طريقه الهيرُدسيون والفريسيون والكتبة والصدوقيون، وفي سائر ما روته الأناجيل عنهم مِن عنادٍ ومعارضة فإنهم لم يكونوا يرون أنهم يختلفون مع إلهٍ، حيث إنه- عليه السلام- لم يدّعي ذلك، ولم يَدعُ هؤلاء ولا غيرهم لعبادته ولا للاعتراف بلاهوت أو أقانيم.

9- صرّحت الأناجيل بأنّ جميع الحوارات التي وردت بها والمجادلات التي دارت بين المسيح وبين مَن اختلف معه مِن اليهود وغيرهم إنما كان محورها ما نسخه المسيح من شريعة موسى- عليه السلام- وأحكام الأسفار، ولم يكن محورها لاهوت ولا ناسوت ولا أقانيم ولا تحدّث المسيح في الأناجيل مطلقاً عن شيءٍ من هذا.

10- رفض كهنة اليهود المسيح، وبيّنت الأناجيل أنّهم كانوا يرونه إنسانًا عاديًّا وأنهم كانوا يرفضون نبوته، وأن يُوجَد نبي من الجليل، وعندما بدا لهؤلاء الكهنة أن يسألوه فإنهم لم يسألوه عن لاهوتٍ ولا عن ناسوتٍ أو أقنومٍ، وما ناقشوه في طبيعته إذ هي محل اتفاقٍ عند جميع معاصريه، وإنما سألوه عن معجزاته وعن مصدرها.

11- جزمت الأناجيل بخوف أعداء المسيح من القبض عليه في العيد وترددهم في ذلك، وأرجعت السبب إلى خوف هؤلاء المتآمرين من شغب الشعب، ولم يكن السبب أنّهم خافوا مِن انتقام اللاهوت منهم، أو مِن غضب أقنوم البنوة؛ فكل هذه التصورات لم تأت على لسان المسيح، ولا على لسان واحدٍ من أتباعه ولا حتى مِن خصومه.

ب – أهم المراجع

- إظهار الحق، لـ"رحمت الله بن خليل الرحمن الهنديّ"، تحقيق" محمد أحمد عبد القادر خليل ملكاويّ"، الطبعة الأولى، الناشر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلاميّة، المملكة العربية السعوديّة، 1415هـ.

- الإختراق الصهيوني للمسيحية، للقس "إكرام لمعي"،الطبعة الثانية، الناشر: دار الشروق، القاهرة 1413هـ– 1993م.

- الفارق بين المخلوق والخالق، لـ "عبد الرحمن الباجه جي زاده"، الطبعة الأولى، الناشر: مكتبة النافذة، الجيزة– مصر 2006م.

- الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس بمصر، الإصدار الثالث، الطبعة الرابعة 2006م.

- اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، لـ"جوستاف لوبون"، ترجمة:"عادل زعيتر"، الطبعة الأولى، دار طيبة للطباعة والنشر، الجيزة– مصر2009م.

- اليهود في عصر المسيح، لـ"سيد محمد عاشور"، الناشر: دار القلم دمشق، والدار الشامية بيروت، 1992م.

- تاريخ الكنيسة، لـ"يوسابيوس القيصريّ"، ترجمة القمص: مرقس داود، الطبعة الثالثة، الناشر: مكتبة المحبة، شبرا– القاهرة 1998م.

- تاريخ فلسطين القديم"،لظفر الإسلام خان،الطبعة الثالثة، بيروت– لبنان 1981م.

- قاموس الكتاب المقدس، لـ "جورج بوست"، طبعة المطبعة الأمريكانية– بيروت 1894م.

- محاضرات في النصرانية، لـ"محمد أبو زهرة"، الطبعة الثالثة، الناشر: دار الفكر العربي، مدينة نصر– القاهرة 1381هـ – 1961م.